جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي

مجلة فصلية محكمة
تعنى بالتراث البصري

تصدر عن :

العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث البصرة

السنة الأولى - المجلد الأول - العدد (الأول)
ربيع الآخر ١٤٣٨هـ - كانون الثاني ٢٠١٧م

الترقيم الدّوليّ

ردمد: print ISSN: 2518-511X

ردمد الإلكترونيّ: Online ISSN:

Mobile: 07800816597 - 07722137733

Gmail: basrah@alkafeel.net

العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية. مركز تراث البصرة.

تراث البصرة : مجلة فصلية محكمة تعنى بالتراث البصري / تصدر عن العتبة العباسية المقدسة قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية مركز تراث البصرة.-البصرة، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، مركز تراث البصرة، 1438 هـ. = 2017-

مجلد : ايضاحيات ؛ 24 سم

فصلية.-السنة الأولى، المجلد الأول، العدد الاول (كانون الثاني 2017)-

ردمد : 2518-511X

المصادر.

النص باللغتين العربية والانجليزية.

1.البصرة (العراق)--تاريخ--دوريات. 2.الشعر العربي--العراق--البصرة--تاريخ ونقد--دوريات. الف. العنوان.

DS79.9.B3 A8373 2017 VOL. 1 NO. 1

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيْنًا ﴾
صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ
سورة المائدة : الآية (٣)

Ministry of Higher Education
& Scientific Research
Basrah University
Studies planning &Fellow-up dept.

بسمه تعالى

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصره
قسم الدراسات والتخطيط والمتابعه
شعبة التخطيط

العدد/ ٧/ ٢٥/ ١٥٩٩٨
التاريخ ٢ / ٧ /٢٠١٧

أمر جامعي

م/ مجلة تراث البصرة

إشارة الى ما تم مناقشته في محضر مجلس الجامعة بجلسته الثالثة عشر واستنادا" للصلاحيات المخوله لنا تقرر الاتي :

اعتماد مجلة تراث البصرة الصادرة من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية لأغراض الترقية العلمية في جامعتنا .

٢٠١٧/٧/٢

الأستاذ الدكتور
ثامر أحمد الحمدان
رئيس الجامعة

نسخة منه إلى //
- مكتب السيد رئيس الجامعة للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
-مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
-عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير .....
-عمادة كلية الاداب / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير .....
-عمادة كلية التربية بنات / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير .....
- امانة مجلس الجامعة / مكتب السيد المدير للتفضل بالاطلاع مع التقدير .....
-قسم الشؤون العلمية / مكتب السيد المدير للتفضل بالاطلاع مع التقدير .....
-مركز تراث البصرة / العتبة العباسية للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
-قسم الدراسات والتخطيط والمتابعة
-الصادرة

نجلاء//

المشرف العامّ

السيّد أحمد الصّافي

المشرف العلميّ

الشّيخ عمّار الهلاليّ

رئيس التّحرير

أ.د. علاء الموسويّ

رئيس التّحرير التّنفيذيّ

الشّيخ شاكر المحمّديّ

مدير مركز تراث البصرة

الهيْأة الاستشاريّة

أ.د. سعيد جاسم الزبيديّ/ جامعة نزوى/ سلطنة عمان.

أ.د. عبد الجبّار ناجي الياسريّ/ بيت الحكمة/ بغداد.

أ.د. طارق نافع الحمدانيّ/ كلّيّة التربية / جامعة بغداد.

أ.د. حسن عيسى الحكيم/ الكلّيّة الإسلاميّة الجامعة/ النجف الأشرف.

أ. د. فاخر هاشم سعد الياسريّ/ كلّية التربية للعلوم الإنسانيّة/ جامعة البصرة.

أ.د. مجيد حميد جاسم/ كلّيّة الآداب/ جامعة البصرة.

أ.د. جواد كاظم النصر الله/ كلّيّة الآداب/ جامعة البصرة.

أ.م.د. محمود محمّد جايد العيداني/ عضو الهيئة العلميّة في جامعة المصطفى ﷺ/ قم المقدّسة.

مدير التحرير

أ.م.د. عامر عبد محسن السّعد/ كلّيّة الآداب/ جامعة البصرة.

سكرتير التحرير

د. طارق محمّد حسن مطر

هيْأة التحرير

أ.د. حسين علي المصطفى/ كلّيّة التربية للعلوم الإنسانيّة/ جامعة البصرة.

أ.د رحيم حلو محمّد/ كلّيّة التربية- بنات/ جامعة البصرة.

أ.د. شكري ناصر عبد الحسن/ كليّة التربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة البصرة.

أ.م.د. عبد الجبّار عبود الحلفيّ/ كلّيّة الإدارة والاقتصاد/ جامعة البصرة.

أ.م.د. محمّد قاسم نعمة/ كلّيّة التربية- بنات/ جامعة البصرة.

أ.م.د. عماد جغيّم عويّد/ كلّيّة التربية/ جامعة ميسان.

أ.م.د. نجم عبد الله الموسوي/ كلّيّة التربية/ جامعة ميسان.

أ.م.د. صباح عيدان العباديّ/ كلّية التربية/ جامعة ميسان.

أ.م.د. علي مجيد البديريّ/ كلية الآداب/ جامعة البصرة.

تدقيق اللّغة العربيّة

د. طارق محمّد حسن مطر

الإدارة الماليّة

سعد صالح بشير

الموقع الإلكترونيّ

أحمد حُسين الحُسينيّ

التصميم والإخراج الطباعيّ

محمّد شهاب العليّ

ضوابط النشر في مجلّة تراث البصرة

يسرُّ مجلّة تراث البصرة أنْ تستقبلَ البحوث والدّراسات الرّصينة على وفق الضّوابط الآتية:

١- أنْ يقعَ موضوع البحث ضمن اهتمامات المجلّة وأهدافها (تُعنى بقضايا التراث البصريّ).

٢- أنْ تكون البحوث والدّراسات على وفق منهجيّة البحث العلميّ وخطواته المتعارف عليها عالميّاً.

٣- أنْ يُقدّم البحث مطبوعاً على ورق(A4)، وبثلاث نسخ، مع قرص مدمج(CD)، بحدود (٥٠٠٠-١٠٠٠) كلمة، وبخطّ(Simplified Arabic) على أنْ ترقّم الصفحات ترقيماً متسلسِلاً.

٤- أنْ يُقدّم ملخّص للبحث باللُّغتين: العربيّة والإنجليزيّة، مع عنوان البحث، وبحدود (٣٥٠) كلمة.

٥- أنْ تحتويَ الصّفحة الأولى مِن البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان الوظيفيّ، ورقم الهاتف أو المحمول، والبريد الإلكترونيّ، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث، أو الباحثين، في صلب البحث، أو أيّ إشارة إلى ذلك.

٦- أنْ يُشار إلى الهوامش في آخر البحث، وتُراعى الأصول العلميّة المتعارفة في التوثيق، والإشارة بأن تتضمّن: (اسم الكتاب، رقم الصّفحة).

٧- أنْ يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة

وجود مصادر ومراجع أجنبيّة تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربيّة، ويُراعى في إعدادهما الترتيب الألفبائيّ لأسماء الكتب أو البحوث في المجلّات، أو أسماء المؤلّفينَ.

٨- أنْ تُطبع الجداول والصُّور واللَّوحات على أوراق مستقلّة، ويُشار في أسفل الشّكل إلى مصدرها أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٩- أنْ تُرفق نسخة من السّيرة العلميّة إذا كان الباحث ينشر في المجلّة للمرّة الأولى، وأنْ يُشار إلى ما إذا كان البحث قدْ قدّم إلى مؤتمرٍ أو ندوةٍ، وأنّه لم يُنشر ضمن أعمالها، كما يُشار إلى اسم أيّة جهة علميّة أو غير علميّة قامتْ بتمويل البحث أو ساعدت في إعداده.

١٠- أنْ لا يكون البحث منشوراً، ولا مقدّماً إلى أيّة وسيلة نشر أخرى.

١١- تعبّر جميع الأفكار المنشورة في المجلّة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضّرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنّيّة.

١٢- تخضع البحوث لتقويم علميّ سرّي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تُعاد البحوث إلى أصحابها، سواء قبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآليّة الآتية:

أ- يبلّغ الباحث بتسلّم المادّة المرسلة للنشر خلال مدّةٍ أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب- يُخطَر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ج- البحوث التي يرى المقوّمونَ وجوبَ إجراء تعديلات أو إضافات عليها

قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحدّدة كي يعملوا على إعدادها نهائيّاً للنّشر.

د- البحوث المرفوضة يُبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ- يمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشِر فيه بحثُه، ومكافأة ماليّة.

١٣- يُراعى في أسبقيّة النشر:

أ- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.

ج- تاريخ تقديم البحوث كلّما يتِمُّ تعديلُها.

د- تنويع مجالات البحوث كلّما أمكن ذلك.

١٤- تُرسل البحوث على البريد الإلكتروني للمركز (Basrah@alkafeel.net)، أو تُسلّم مباشرة إلى مقرّ المركز على العنوان الآتي: (العراق/ البصرة/ شارع بغداد/ حيّ الغدير/ مركز تراث البصرة).

وفّقكم اللهُ لخدمة بصرتنا العزيزة وعراقنا الغالي.

كلمةُ العددِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرّحِيمِ

الحمْدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسّلامُ على سيّدِ المرْسَلِيْنَ، وخاتم النبيّينَ، محمّدٍ، وعلى آلِهِ الطيّبينَ الطاهرينَ، مصابيحِ الظُّلَمِ، وسادةِ الأممِ ...

يُشكِّلُ التراثُ مَنْبَعَاً حَيَويّاً من منابعِ رفدِ الأممِ بالقُدرةِ والإرادةِ والهمّةِ، فالأمّةُ التي تُطالع تأريخَها وتُعاينُ آثارها تكونُ محطَّ فخرٍ واعتزاز بينَ الأممِ، ومحلَّ إكبارٍ وإجلالٍ لَمَنْ يرنُو إليها، والتّراثُ -بوصفِهِ مُفردةً لغويّةً- يُحيلُ على الإرث، وهو(البقيّة مِن الأصل)، وهو ما يَعْكسُ الامتدادَ والسّيرورة.

قدْ يُنظرُ إلى التراثِ بوصفِهِ تركةً ماديّةً لأمّةٍ مِن الأممِ، أو لسُلالةٍ بشريّةٍ ما في زمانٍ مُعيّنٍ أو مكانٍ معيّنٍ، ولكنّ الحقيقة هي أنّ التراث هو حركةُ أمّةٍ مِن الأممِ بكلِّ إمكاناتها المادّيّة والمعنويّة في حقبةٍ من الزمانِ وبقعةٍ من المكان، بما يكشفُ عن تجربتِها عَبر ذلك الزمان أو المكان، ويكون ملهِماً لفرْعِها المنبثقِ عنها، من هنا، فالتُّراثُ هو تجاربُ الأمم التي تكون زخماً وطاقةً لأجيالها، بما يؤكِّد وجودَها، ويحقِّق استمراريّتَها.

من هنا -أيضاً- تأتي دراسةُ التُّراث لتسيرَ سيراً تَوْأَماً معه في تأكيدِ تلك

الهويّةِ وإبرازها، والحَفْر في مكنوناتِهِ، التي مرَّ عليها الزّمن؛ لتقدِّم هويّتها ناصعةً مرصّعةً بالعطاء، جاريةً في نهْج الخلود.

والبصرةُ هي تلك المدينةُ التي عُرِفَتْ بتأريخها وتراثِها وأهمّيته، كما عُرِفَتْ بعطائِها الزخّار، ورجالاتها في ميادينِ من المعرفةِ شتّى، بل هي مِن الحواضر المؤسِّسةِ لكثيرٍ مِن العلوم والفنون الإنسانيّة، وعليه، كانتْ الانطلاقةُ إلى ضرورةِ تقصّي تراث هذه المدينة وتثويرِ كنوزها؛ لتُقدِّم مائدةً تكونُ نَهْجاً وعَطاءً وإلهاماً لآخرها، كما كانت حركةً وسعياً ومنهجاً لأوّلها.

وقدْ كانَ لكفِّ الجودِ الممتدّةِ من أبي الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام -ونعني العتبة العبّاسيّة المطهّرة، متمثِّلةً بمتولّيها الشرعيّ سماحة السيّد أحمد الصّافي(دام عزُّه)- كانَ لها اليدُ الطّولى في دَعم تراثِ هذه المدينةِ الزاخر بتأسيس (مركزِ تراثِ البصرةِ)، الذي جاءت مجلّتُهُ المتخصِّصة (تراث البصرة) ضمن سلسلةِ أنشطتِهِ الرئيسة؛ لتأخذَ على عاتقها -مع جملةٍ طيّبةٍ مِن الكفاءات والأقلام الفذّة- تسطيرَ مدادها في تراث هذه المدينةِ الكريمةِ، ولِتُسهِم في التعريف بكنوزِها وذخائرِها؛ بثّاً للوعي التراثيّ الذي يُعدُّ القناة الرئيسة لنشر التراثِ والبحثِ فيه؛ إذْ مِن دونِ الوعي بأهمّيةِ الموضوعِ لا يمكن السّيرورةُ إلى تطبيقاتِهِ.

فها هي مجلّة (تراث البصرة) تأتي اليوم لتفتحَ أبوابها للأقلامِ الرّصينةِ والكتاباتِ الأمينةِ العَلِيْمَةِ؛ لتسطّر تأريخَ مدينةٍ حافلاً بالكنوز والمحامِد، وهي

-إذْ تُعلِنُ عنْ ذلك- تتبنّى محورينِ أساسين عن التُّراث، المحور الأوّلُ يضربُ في البعد الزمنيّ القديم، وهو ما تعارف عند التبادر لمفردة التُّراث؛ إذْ تحيلُ على ما له لُصْقَةٌ بالماضي، أمّا المحورُ الثاني، فهو تقصِّي ما سيكونُ تراثاً للأجيال منْ أبعادِ هذه المدينة، وتوثيقه وتدوينه وتقديم الدّراسات عنه بما يدعمه ويثبّته، فالأملُ معقودٌ على ذوي البَصَر والبصيرة والرّؤية السّليمة في التعامل مع التُّراث في رفد مسيرة مجلّتنا إلى الأمام؛ خدمةً للإنسانيّةِ جمعاء، وبصرتِنا الفيحاء، ومِن الله التوفيقِ.

قصيدةٌ تؤرِّخ سنة صدور مجلّة (تراث البصرة) المحكّمة

البصرةُ الفيحاءُ سِمْطُ نُضارِ ... زادتْ به حُسناً على الأمصارِ

جَذلى الكواكبُ وهي تحرسُ جيدها ... بالفاتناتِ قلائدِ الأنوارِ

كي يكتبَ الدؤليُّ نحواً للوَرَى ... مِن هَدي سيّدنا أبي الأطهـــــارِ

ويروحَ ذاكَ العَبقريُّ مؤسِّساً ... تحتَ النخيلِ مُراقِصَ الأشعارِ

ولِتشهدَ الدّنيا بأنّ ربوعَنا ... مِن ذي الخُريبة مَولدُ الأفكارِ

ولذاكَ قدْ غَمَر النفوسَ بجودِهِ ... فاستبشِري خيراً بخيرِ قرارِ

قدْ أعلنَ (الصّافي) فأسَّس مركزاً ... يُحيي تراثَ مدينةِ الآثارِ

في مولدِ المهديِّ، حُجّةِ عصرِنا ... مُحيي العقيدةِ، قاصِمِ الكفّـــارِ

سأخطّ في كفِّ الهلالِ سخاءَهُ ... رَوْضٌ يُجيبُ مُسَائلاً بثمارِ

مِنْ بينِ ألوانِ العَطاءِ مجلّةٌ ... علميّةٌ كَانتْ مُنى الأنظارِ

مِنْ بَصْرَتِي وَتُراثِهَا صَاغَتْ لها ... إسْماً، فكَانَ تَزَيُّناً بِوَقَارِ

فاكتُبْ على سَعَفِ النَّخِيْلِ مُؤرِّخاً: ... (قَمَرٌ يُراقِصُ أنْجُمَ العَشَّارِ)

(٣٤٠+٤٠١+٩٤+٦٠٢)= ١٤٣٧هـ

شعر: د.عامر السّعد

المحتويات

الاتجاهاتُ الاجتماعيّةُ في نماذجَ من الشِّعر البصريّ خلال القرنينِ الخامس والسّادس الهجريّينِ

أ.د. رحيم خريبط عطيّة

جامعة الكوفة-كلّيّة الآداب- قسم اللّغة العربيّة ٢٣

ظواهرُ أسلوبيّة في شعر (أحمد مطر)

(الظاهرة الإيقاعيّة أنموذجاً)

أ.م.د. خالد جفّال لفتة المالكيّ

جامعة البصرة-كلّيّة الآداب- قسم اللّغة العربيّة ٧٥

لغةُ الحياةِ اليوميّةِ في الشّعر العراقيّ المعاصر

(شعر حُسين عبد اللّطيف أنموذجاً)

أ. م. د. مرتضى عبد النبيّ علي

جامعة البصرة- كلّيّة التربية/ القرنة- قسم اللّغة العربيّة ١٣٣

دورُ المرأةِ البصريّةِ في الحركة الفكريّة

مُعاذة العدويّة (ت٨٣هـ) أُنموذجاً

أ.د. جواد كاظم النصر الله

جامعة البصرة-كلّيّة الآداب- قسم التاريخ ١٧٥

البصرةُ في رحلاتِ تيخيرا وديللافاليه والأب فيليب الكرمليّ

أ.د. حسين علي عبيد المصطفى

جامعة البصرة–كلّيّة التربية للعلوم الإنسانيّة–قسم التاريخ ٢٣١

السّيّد (أمير محمّد القزوينيّ قدّس سرّه)

دراسةٌ في دورِهِ الاجتماعيّ والإصلاحيّ في مدينة البصرة

المدرس المساعد: جعفر عبد الله جعفر ٢٧٥

الإمكاناتُ السّياحيّةُ للأهوارِ في جنوبِ العراقِ

(أهوارُ البصرةِ أنموذجاً)

أ.م. صفيّة شاكر معتوق المطوريّ

جامعة البصرة–مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ ٣٢١

As-Sayyab's A Stranger by the Gulf: Themes and Meaning

Assist. Lect. Sahar Ahmed Mohammed

Basrah and Arab Gulf Studies Center 21

البصرةُ في رحلاتِ تيخيرا وديللافاليه والأب فيليب الكرمليّ

Basrah in Teixeira's & Della Vale's & The Father Carmel Philip Travels

أ.د.حسين علي عبيد المصطفى

جامعة البصرة/ كلّيّة التربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم التاريخ

Prof.Dr.Hussain Ali Obaid Al Mostafah

History Department/College of Education for Human Sciences/University of Basrah

ملخّص البحث

تناول البحث ثلاث رحلات، الرحلة الأولى للبرتغاليّ (بيدرو تيخيرا) الذي زار البصرة سنة (١٦٠٤م)، ووصف شطّ العرب، والسرّاجي، ونهر العشّار، وأُعجب بكرم البصريّين، ووصف البصرة وحيواناتها وطيورها، وذكر بعض مظاهر التجارة فيها، وأوضح طبيعة أرض البصرة الزراعيّة الخصبة، ولم يبيّن لنا عادات السكّان وتقاليدهم.

والثانية للإيطالي (ديللافاليه)، الذي وصل البصرة سنة (١٦٢٥م)، فوصف طبيعة البصرة وشطّ العرب، ولم يكن وصفه لهما دقيقاً، وقدْ لاحظ ظاهرة المدّ والجزر في أنهر البصرة، وذكر سور البصرة وأسواقها، ووصف السكّان وطوائفهم، وتكلّم باختصار عن الصّابئة والنصارى، مركّزاً على افتتاح كنيسة الآباء الكرمليّين، وذكر لأوّل مرّة مسجد مقام عليؑ في العشّار، ووثّق لنا هجوم الفرس الفاشل على البصرة في هذه السّنة، وعلاقة والي البصرة مع شاه إيران والعثمانيّين.

والثالثة للأب (فيليب الكرملي) سنة (١٦٣٠م)، وصف فيها كرم البصريّينَ وصفاً بديعاً، ونشاط دير الآباء الكرمليّين، وطبيعة الإنتاج الزراعيّ في البصرة، من حبوب وتمور وفواكه مختلفة، وذكر الصّابئة مصحّحاً القول السائد بأنّهم نصارى، وذكر أنّهم ليسوا كذلك.

Abstract

The research explores three travels. The first one was the travel paper of (the Portuguese Pedro Teixeira) who visited Basrah in 1604. He described Shatt-alArab, alSarraji and the Ashar River. He was impressed by the generosity of the citizens in Basrah . He also described Basra city and its animals and birds .He didn't show us the traditions and habits of the Basrah population; rather, he mentioned some aspects of trade in the city and highlighted the fertile agricultural nature of Basrah. The Italian Della Vale reached Basrah in 1625. He described the nature of Basrah and Shatt-alArab, but his description was not accurate. He noticed the phenomenon of the tide and ebb in Basrah rivers. He mentioned the wall and markets in the city. He describes the population and their communities and hinted briefly at the Sabians and the Christians and focused on setting up the Fathers Carmelites Church ،and he referred for the first time to the Mosque of Imam Ali (in Ashar). He documented

the failed Persian attack on Basrah in this year, and the relationship between the Governor of Basrah and the Shah of Iran and the Ottomans. The third trip was made by the Father Carmel Philip in 1630, who gave a magnificent description of the generosity of Basrah citizens, the activity of the Monastry of Carmilian fathers and the agricultural production in Basrah. He also mentioned the Sabians and corrected the then common concept that they were Christians and said they were not.

المقدّمة

اتّصف القرن السّادس عشر الميلاديّ بقلّة عدد الرّحالة الذين زاروا البصرة فيه، فضلاً عن قلّة المعلومات التي سطّروها فيما كتبوه، بينما ازداد عددُهم، وزادت المعلومات التي أوردوها فيما كتبوهُ عنها في القرن السّابع عشر.

يحاول البحث معرفة ما كتبه ثلاثة من الرحّالة الأجانب، أحدهم برتغاليُّ الجنسيّة، وهو (بيدرو تيخيرا)، والثاني إيطاليٌّ وهو (ديللافاليه)، والثالث راهبٌ فرنسيٌّ هو (فيليب الكرمليّ).

ويسلّط البحث على المعلومات التي أوردوها بشكلٍ نقديٍّ، فضلاً عن تصحيح الأخطاء التي وقعوا فيها، ومنها عدم دقّة المسافات بين المدينة وأنهارها، والرؤية الغربيّة للسكّان ومعتقداتهم في البصرة، وقيام أحدهم بالكتابة عن الأقليّات المسيحيّة في المدينة، واهتمام الآخر بكتابة تفاصيل عن الأوضاع السّياسيّة في البصرة، وعلاقتها مع الفرس والعثمانيّين، واهتمام أحدهم بالكتابة عن طائفة الصّابئة في البصرة، بينما قام أحدُهم بنقل صور عن طبيعة السكّان وكيفيّة تعاملهم مع الغرباء، والكلام عن الصّابئة بشكلٍ أكثر موضوعيّة.

لقدْ شهِد القرن السّابع عشر الميلاديّ تزايداً في عدد الرّحلات الأجنبيّة إلى بلاد وادي الرافدين، وأصبحت المعلومات التي تضمّنتها تلك الرّحلات، أكثر فائدة من سابقاتها، في القرن السادس عشر؛ نظراً إلى تطرّقها لجوانب أكثر، عن النّواحي الاقتصاديّة والاجتماعيّة، فضلاً عنْ إيرادها معلومات سياسيّة ودينيّة ذات أهمّيّة خاصّة.

رحلةُ البرتغاليّ (بيدرو تيخيرا)

انطلاقةُ الرِّحلة

افتتح الرحّالة البرتغاليّ (بيدرو تيخيرا[١] Pedro Teixeira) الرّحلات التي زارها إلى العراق ما بين سنة (١٦٠٤ و ١٦٠٥م)، عندما أبحر بسفينةٍ من (لشبونة) إلى الخليج العربيّ، فوصل إلى جزيرة (خَرْج)، وبعدها وصل إلى شطّ العرب، الذي بقيتْ السّفينة فيه خمسة أيّام، وبعدها توجّه إلى منطقة (السرّاجي)[٢]، ومنها دخل إلى نهر العشّار فمركز الولاية[٣].

والجدير بالذكر، أنّ الرحّالة (تيخيرا) سافر من (لشبونة) برفقة تاجر من البندقيّة وبعض البرتغاليّين، بعد نقل حاجاته، وبعض السِّلع التي جلبها للتجارة، وبعد وصوله إلى بلاد الشام، التحقَ بالقافلة المتوجّهة عَبر الطريق البرّي إلى البصرة[٤]، وعند وصفه شطّ العرب[ويبدو أنّه استقاه من الأهالي] قال: إنّه يتكوّن منْ قناتين[ويقصد بهما نهرَي دجلةَ والفرات] تبعدان عن المدينة ثلاثة فراسخ[٥] في منطقة القُرنة، التي توجد فيها قلعةٌ للأتراك، ويُعدُّ هذا النهر المصدر الأساس لمياه الشُّرب وسقي المزروعات، وتتفرّع منه قناةٌ صناعيّة [هو نهر العشّار، وهكذا يُسمّيه تيخيرا]، تتّجه إلى شمال المدينة [والأصحّ نحو غرب المدينة]، ومنه تُسقى حقولٌ واسعةٌ، وعددٌ كبيرٌ من البساتين، وأخبره المسنّون: أنّ النهر كان فيما مضى صالحاً للملاحة، إلى حدّ المدينة التي تقعُ على بُعدِ ثلاثينَ ميلاً نحو الداخل[٦].

وصفُ عامّ للطبيعة البصريّة وضفاف شطّ العرب

وصف لنا (تيخيرا) قطعان الحيوانات الأليفة والبهائم، وأسْراب الطّيور المتنوّعة من الإوز والبطّ والدّجاج، التي تملأ شاطئ النهر[٧]. وذكر الأحوال العامّة في البصرة، وأنّ أغلبَ سكّانها من العرب، وكان قسماً منهم قدْ جاء إلى السّفينة سباحةً، على جلود (قرب) منفوخة؛ لبيع الدّجاج البحريّ[٨]، والإوز، والحليب، والزُّبدة، والتّمور، وغيرها من الأطعمة، وكلُّها بأسعارٍ زهيدةٍ جدّاً.

ملامحُ من الوصف العمرانيّ والتركيب الاجتماعيّ للسكّان

ألقتْ السّفينة مرساها في السرّاجي؛ إذْ كانت السُّفن المحمّلة -آنذاك- ترسو في ميناء البصرة، لتفريغ حمولتها مقابل قلعة يشغلها الأتراك، ربّما كانت مركزاً لاستيفاء الضّرائب، ويوجد أكثر من قلعة على الشاطئ لحماية المنطقة والسُّفن من هجمات اللّصوص[٩].

غادر (تيخيرا) السّفينة، ويبدو أنّه ركب زورقاً واتّجه به نحو نهر العشّار، وقدْ أُعجِب بالبساتين على ضفّتيه، والمزروعة بالنخيل، والخضروات، وأشجار الفاكهة، وحدَّد موقع المدينة من شطّ العرب على بعد ميلين منه، ووصفها بأنّها تقع على أرضٍ منبسطةٍ، وقدَّر عدد بيوتها بـ(عشرة آلاف بيت) داخل القلعة وخارجها [أي إنّ عدد سكّانها في مركز الولاية يقدَّر بخمسين ألفَ نسمةٍ] والبيوت واسعة وفسيحة، إلا أنّه انتقدَ بناءها ووصفه بالرديء؛ لأنّها مبنيّة من الآجر المجفَّف بالشّمس، الذي لا يصمد أكثر من ثلاث سنوات -على حدّ قوله- وقدْ بالغ في قوله هذا.

أمّا بيوت باقي النّاس، الذين يصفهم بالفقراء، فهي مبنيّة من الحصران (البواري)[١٠]، وحزم القصب، الذي يكثر على ضفاف الأنهار. وفي المدينة يوجد حصن مربّع الشكل، وجميع الأسوار والمتاريس بناؤها من الطّين، وعندما وصلها (تيخيرا) كانت شبه مهدَّمة، ووصَفَ الاستحكامات فيها بأنّ المدينة يُحيطها خندق عميق وعريض، يُغذِّيه رافدٌ واحدٌ[١١]. ويقول عن العمران في البصرة: إنّه لا توجد في المدينة مبانٍ جديرةٌ بالذّكر، باستثناء بعض الحمّامات العامّة، التي يصفُها بالنظيفة جدّاً والمربحة. والعرف السّائد في الحمّامات أنْ يُسمح للرّجال بدخولها حتّى الظهيرة، وللنّساء من الظهيرة حتّى مغيب الشمس، وإذا ما سوّلتْ لأحدٍ نفسُه ارتكابَ حماقةٍ، وخرق هذا القانون، فتتمُّ معاقبته بقسوةٍ بالغة[١٢].

وعند وصول (تيخيرا) البصرة، وصف معظم بيوتها بالخراب، داخل الأسوار وخارجها، وعزا ذلك إلى نارٍ شبّتْ في مستودع البارود قبل ثمانية أو عشرة أيّام، فانفجر خمسة آلاف كيس جلديّ من البارود، وأحدث هياجاً، حتّى اعتقدَ النّاس أنّها نهاية العالم! وقدْ أحدث ضرراً كبيراً في المدينة، التي مضى عليها -الآن- نحو قرنين من الزمان، وهي منتصبة في هذا المكان، وهي في الوقت الحالي في موقعها الثالث[١٣]. ويحتلّ الأتراك هذه المدينة منذُ أكثر من خمسين سنة، بعد أنْ سيطر عليها أحدُ الطُّغاة العرب [يقصد شيوخ آل مغامس من المنتفق]، ووضعها تحت تصرُّفه.

لم يبيِّن (تيخيرا) تقاليد السكّان وعاداتهم ونوعيّة ملابسهم؛ وعلَّل ذلك بأنّه ليس هناك ما يمكن قوله؛ لأنّهم كلَّهم عرب، وملامح معظمهم جميلة، ولاسيَّما

الأطفال والنساء، وقدْ وصَفَ أخلاقهُنَّ بغير الجيّدة!! وهو وصفٌ بغير حقّ، وخصوصاً في ذلك الزمان الذي يُعدُّ الشّرف أغلى ما يحافظ عليه المسلم.

وهناك أتراك. وغالباً ما يستخدم السكّان الجِمال والبغال والحمير والخيول لنقل سلعهم[١٤]، ويذكر (تيخيرا) أنّه اصطحب لمقابلة أحد أولاد الشّيخ (راشد بن مغامس)[١٥]، الذي كان يحكم البصرة قبل الاحتلال العثمانيّ، ويُسمّى (محمّد بن راشد)[١٦]، الذي رحَّب به، وتساءل عن لغته وعاداته وملبسه[١٧].

تعجّب (تيخيرا) عندما شاهد منزلاً صغيراً أشبه بالكنيسة، وعندما سأل عنه، قالوا له: إنّه مكان عبادة (عيسى بن مريم)، وكانوا يبجّلونه كثيراً، ويسمُّونه (روح الله)، وأروه بعض الأراضي الموقوفة على الكنيسة، وقدْ أثار ذلك دهشتَه[١٨].

ويقع قرب الحصن(حوش الباشا) مركز الحركة التجاريّة، ومعظم الحِرف اليدويّة، والمقرّات الرئيسة للحكم، ومباني الإدارة. وهناك مقرّات القيادة العسكريّة، التي تتكوَّن بشكلٍ عامٍّ من ثلاثة آلاف من الجنود المسلّحين والخيّالة إلى جانب الموجودين في المخافر، وتوجد دار مكوس (كمرك) تَدُرُّ عوائد كبيرة، تُدفَع منها نفقات الحاميات العسكريّة، والتكاليف الأُخَر، ويزيد منها فائض كبير[١٩].

وأشار (تيخيرا) إلى وجود مراكز لصناعة السُّفن في البصرة، ولم يُحدِّد مكانها، ويمكن تحديده في منطقة المنّاوي على شطّ العرب، وتُصنع فيها بعض السُّفن الصغيرة، التي تُسمَّى (قوادس)، تُستخدم في الأنهار والأهوار ضدّ القبائل الموجودة هناك، وتقوم بمهاجمة السُّفن التي تسير في شمال البصرة، وتأخذ منهم

(إتاوات) ثقيلة، ولم تكن هذه السُّفن قادرة على التصدّي لسفن البرتغاليّين في جنوب شطّ العرب، على حدٍّ قوله، وإنّما تُستخدم في نهر شطّ العرب، والمناطق المجاورة (في مياه الأهوار)، وإنّ عددَ تلك السُّفن قليل؛ لأنَّ كلفتها عالية؛ بسبب شراء أخشاب الصُّنوبر من الخارج؛ لعدم نموِّها في المنطقة[٢٠].

وأشار (تيخيرا) كذلك إلى وجود جسرٍ خشبيٍّ على النهر مكوَّن من ثمانية قوارب، وفي الأماكن الأُخَر يعبُرُ النّاس على قوارب صغيرة يسمّونها (دوانق)[٢١]، مصنوعة من قطع خشب صغيرة، ومغطّاة بالقار من الأسفل[٢٢].

الزّراعة والاقتصاد

وصف تيخيرا البصرة بأنّها أرض زراعيّة خِصبة، ولاسيّما زراعة النخيل الكثيفة، التي تُنتج أنواعاً متعدّدة وفاخرة جدّاً من التمور، وتقوم بتصدير البعض منها إلى بغداد، وإلى موانئ بلاد فارس وهرمز سنويّاً؛ كونها تُعدُّ مورداً غذائيّاً رئيساً للنّاس عامّة[٢٣]، وأشار إلى أنّ البصرة يُزرعُ فيها كلُّ صنوف الفاكهة والخضار والقمح والشعير والرّز والحبوب الأُخَر، وهي وَفيرة ورخيصة الثّمن، وهناك حركة استيراد من موانئ بلاد فارس، مثل: بوشهر، وبندريق، وسيف الدّين، وبعض المدن كـ(الدّورق)؛ لذا يبقى السِّعر منخفضاً، وتوجد أنواع من المواشي الصّغيرة والكبيرة، وأنواع كثيرة من الطّيور المائيّة، والدّجاج المائي، والأسماك النهريّة، ويصفُ طعمَ الأخيرة بأنّه ليس لذيذاً[٢٤]، وربّما كان متعوّداً على طعم أسماك بلاده؛ لذا وصفها بهذا الوصف، وأشار -أيضاً- إلى وجود نشاطٍ تجاريٍّ بين البصرة وبغداد، وكلّ أنحاء الجزيرة العربيّة، وهرمز، التي

تأتي منها كلُّ السِّلَع الهنديّة، وكذلك مع البحرين، والقطيف، والأحساء، وبلاد فارس[٢٥].

وذَكَرَ (تيخيرا) أنّ جميع النقود الذّهبيّة والفضيّة متداولة في البصرة، بما تساويه قيمتها من العملات الأُخَر، ولكنّ النقود المضروبة في دار السكّة مصنوعة من الفضّة والنّحاس، ومنها: العملات الفضّيّة(اللّارينات)[٢٦]، و(الشّاهيّات)[٢٧] ذات الأشكال الجميلة جدّاً، وعيارُها أقلّ من عيار (اللّارينات).

ويوجد في جنوب مقرّ الإمارة المسمَّى (حوش الباشا) مكانٌ كبيرٌ مفتوحٌ ومستوٍ، يُدعى (المشراق)، يُستخدم سوقاً عامّاً للبيع والشراء، ومعرضاً لمختلف السِّلع، فضلاً عن استخدامه في أيّام الجُمَع ملعباً للفروسيّة، يُبرِز فيه الخيّالة فعّاليّاتهم، وهم خُبراء، وأعدادهم كثيرة، والمصلُّون يأتون للصّلاة في الجوامع، ومشاهدة هذه الفعّاليّة، ولا يتوقّفون عن مزاولة أعمالهم، ومتابعة تجارتهم، في ذلك اليوم، مقلِّلينَ من حرمة يوم الجمعة[٢٨].

عند مغادرة (تيخيرا) البصرة [وكان يسكن في بيت تاجر بندقيّ في المدينة] اختار الطريقَ البريّ، طريق (بصرة-حلب) التجاريّ، واتّفق مع رئيس القافلة الحاج (محمّد بن فلاح العدسانيّ)، وجلب معه ثلاث (بالات) من صبغ النّيلة لبيعها في بعض المدن والاستفادة من أرباحها، ولم يختر طريق نهر دجلة؛ خوفاً ممّا سمعه من وجود اللّصوص الذين يُهاجمونَ السُّفن، ويفرضون (الإتاوات) على الركّاب وسلعهم[٢٩]. ويصفُ بداية تحرّك القافلة خلال بساتين النخيل المحيطة بنهرَي (العشّار والخُورة).

وفي نهاية المدينة شاهدَ الأرض مغطّاة بالمِلح، وعزاهُ إلى انسياح مياه ما سمّاه

(بحر الخليج الفارسيّ)، التي تغمرُ تلك الأراضي في بعضِ الأجزاء؛ ولذا أصبحت تلك الأراضي مهجورة، بعد أنْ كانت خِصبةً فيما مضى[٣٠]، والصّحيح أنّ مياه الخليج لاتصلُ إلى هذه المنطقة في غرب البصرة، وأنّ تلك المياه الموجودة تنساح من شمال البصرة من نهر الفرات في منطقة (كَرمة علي)، وقت ارتفاع المياه فيه في فصل الرّبيع، وشاهد (تيخيرا) سدّاً ترابيّاً غرب المدينة، وقدَّر ارتفاعه بين ستّة إلى سبعة أشبار، وعرضه أربعة أشبار.

الدّريهميّة

وبعد مسيرة أربعة فراسخ، توقّف عند منطقة تسمّى (الدّريهميّة)، وحدَّد موقعها عند منتصف خرائب البصرة الثانية[٣١]، مبيِّناً إمكان رؤية بعض آثار هذه المدينة، فضلاً عن الجامع الكبير، ووصف هذه المدينة بـ(العظيمة) لكلِّ مَن يُشاهدها، وشاهد بعض الآبار الصّالحة للشّرب، وأراضي مزروعة بغلال القمح والشّعير والفواكه[٣٢].

جبل سنام

بعد انطلاق الرّحلة، كان وكلاء الشّيخ (محمّد بن راشد) يتشاجرون مع المسافرين على فرض (الإتاوات) على ما يحملونه من سلع، ثمَّ سارت القافلة بالاتجاه الشماليّ الغربيّ، وذكر (تيخيرا) أنَّ هناك سلسلة جبال يُطلِق عليها العرب(جبل سنام)[٣٣]، وذكر له الأهالي أنّ كمّيّات وفيرة من المياه كانت موجودة في المكان، تتزوَّد بها القوافل في طريقها من البصرة إلى مكّة.

البرجسيّة

وبعدها واصلت القافلة سيرها، وبعد ميلين توقّفتْ في منطقةٍ فيها آبار مياه عذْبة تسمّى (البرجسيّة)، في سهلٍ مُلئ بنبات الحنظل، الذي يستخدمه عرب الصّحراء دواءً بعد خلطه مع حليب النّوق، وفي هذه المنطقة تتمُّ عمليّة صرف العملات -على حدّ قوله- وفي هذا المكان اجتمعتْ القافلة التي كانت تتكوّن من مائة وخمسينَ جملاً، وخمسة وتسعينَ حماراً، واثني عشر حصاناً، على الرُّغم منْ أنّ عددَ المسافرينَ أقلُّ من هذا العدد، وعند مشاهدة الأهالي هذا التجمّع، فرُّوا وابتعدوا عن المكان، ووصف(تيخيرا) أُولئك النّاس بالفقر، وهم عراة، ويلبسون جلودَ الحيوانات التي يصطادونها، ويعتاشونَ عليها، مثل: الغزلان، والحُمُر الوحشيّة، والذّئاب، والأرانب البرّيّة[٣٤].

جويبدة

وخلال مسيرة القافلة عصراً، اجتازتْ أراضي منبسطةً توجد فيها عدّة آبار ذات مياه صالحة للشُّرب، وفي هذه المنطقة توجد خرائب مبنيَينِ كبيرينِ، يُعتقدُ أنّهما كانا فيما مضى مساكن لشيوخ آل مغامس، وتسمّى (جويبدة)[٣٥].

الرُّميلة

في صباح يوم (٧) أيلول استأنفت القافلة مسيرها، ووصلتْ إلى منطقةٍ منبسطةٍ، يُسمِّيها العرب (الرُّميلة)، وتوجد فيها ثماني خيم، وشُوهد دخان كثيف ناتج عن حرق العرب الساكنينَ هناك القصبَ الموجود؛ لغرض تهيئة الأرض للزراعة، وشاهد (تيخيرا) الأرانب البريّة، واليرابيع التي يتمُّ صيدها

وأكلها من قبل البدو[٣٦].

وتنبّه (تيخيرا) إلى أنّ العشائر تُحافظ على مسافاتٍ متقاربة للسكن فيما بينها، حتّى تجعل القوافل مضطرّة لدفع (الإتاوات) لها؛ لتأمين معاملة جيّدة، أو لإرشادها إلى الطريق الصّحيح، ومواضع شرب المياه، وبخلاف ذلك لا يمكن للقافلة المرور[٣٧].

رحلةُ الإيطاليّ (ديللافاليه)

يُعدّ (ديللافاليه)[٣٨] من أوائل الرّحّالة في بداية القرن السّابع عشر، كتَبَ عن البصرة عدّة صفحات، في الرّسالة العاشرة والحادية عشر من الرِّحلة، تناول فيهما أموراً سياسيّةً تخصُّ الصّراع (العثمانيّ-الفارسي) في فترةٍ عصيبةٍ انعكستْ على الوضع العراقيّ، وفي رسالته العاشرة المؤرّخة في (٢٠ آيار ١٦٢٥م)، ذكَر أنّه وصل إلى مصبِّ نهر شطّ العرب في العاشر من آذار (١٦٢٥م)، وأعطى وصفاً عن طبيعة البصرة، وابتدأ بوصف تكوين شطّ العرب، من التقاء نهرَي دجلة والفرات، إلا أنّه جانَبَ الصّواب عندما ذكر: أنّ النّهر في جريانه يتفرّع إلى فرعين، الفرع الشرقيّ وهو أوسع حجماً، وأكثر أمناً، يُطلِق عليه البحّارة -على حدِّ قوله- اسم (هرمز)، والفرع الغربيّ يُسمّيه (فرع البحرين)، أو (فرع القطيف)، ولا تدخله السُّفن الكبيرة إلا نادراً، ويحدث الانقسام إلى فرعين في جنوب البصرة، فتتكوّن بينهما جزيرة مثلّثة الشكل، يُطلِق عليها الأهالي اسم (الخضر)[٣٩]. ويبدو أنّ سفينة الرّحّالة (ديللافاليه) دخلتْ شطّ العرب،

وسارتْ في جهته الشرقيّة، عندها شاهد الأراضي المحيطة بالنهر، وعَبَّر عنها بأنّها عامرةٌ بأشجار النخيل، وكثيرة الزرع. وواصلت سفينته سيرها حتّى وصولها إلى موضعٍ فيه جدولٌ عميقٌ -على حدّ قوله- تمخَر فيه القوارب المحلّيّة، وبعض السُّفن البرتغاليّة، ومراكب أُخر مختلفة، تقف عند موضع الكمرك[٤٠]، هذا الموضع يقعُ في بداية نهر العشّار (على ضفّته الشماليّة) مقابل تمثال (السيّاب) الحالي، وبقي هذا المكان موضعاً لاستحصال الضّرائب حتّى بداية الاحتلال البريطانيّ للعراق.

لم يحدِّد (ديللافاليه) اليوم الذي وصل فيه، إلا أنّ المدّة التي تقطعها السّفينة من مصبِّ شطّ العرب إلى بداية نهر العشّار لا تستغرق أكثر من يومٍ، ومن المرجَّح أنّه وصَل في الحادي عشر من آذار.

وصفُ نهر العشّار

يمتدُّ هذا النهر إلى داخل مدينة البصرة، ويوجد جسرٌ من الخشب مثبَّتٌ على قوارب مربوطة بسلاسل حديد؛ ليكسبها مزيداً من القوّة، وتقوم إلى الشّمال من الجسر بنايةٌ لها تصميم القلعة والحِصن، غايتها حفظ المدينة، على الرُّغم من أنّ البناء امتدّ إلى أبعد من القلعة[٤١]. ولاحظ (ديللافاليه) أنّ ماء النّهر يرتفع بتأثير ظاهرة المدّ، وتصلُ بعض السُّفن من شطّ العرب إلى حدّ هذا الجسر فقط، وقدْ شاهد هناك سفن الوالي الحربيّة، وهي راسية بأمانٍ عند تلك القلعة، وبالإمكان سحبها منْ دون تجديف، وتتفرّع من ذلك النهر عدّة قنوات، تمتدُّ إلى داخل المدينة، وينتقل النّاس بالقوارب في هذه القنوات من بيتٍ إلى آخر، ويُطلقونَ

على هذه القوارب اسم (دانك)[٤٢]، وهناك عددٌ من الجسور للمشاة فوق تلك القنوات[٤٣].

الاستقرارُ في البصرة

ويبدو أنّه لا توجد في داخل المدينة أماكن لإيواء المسافرين، فعند نزوله إلى البرّ بحثَ عن بيتٍ يحلُّ فيه، وكان ذلك في يوم (١٣ آذار١٦٢٥م)، ولم يحصل على ما يريد، فاضطرّ إلى الرّجوع للمركب للمبيت فيه. وفي صباح اليوم التالي واصل البحث عن بيتٍ للإيجار فلم يُفلِح، فأُرشِدَ إلى مسؤول الميناء (الشاهبندر، خواجة نجم)، وكان يعمل في الكمرك، وهو من طائفة الصّابئة، وذكر أنّه يتمتّع بمكانةٍ اجتماعيّةٍ حسنةٍ بين النّاس، ومعرفتُه جيّدة، وقدْ شدّته به صداقة أثناء وجوده في البصرة، وقدَّم له خدمات جليلة، واستطاع بجهود زوجتِهِ الحصول على بيتٍ للسَّكَن، ولم يكن على ما يُرام، إلا أنّه وعدَهُ بترتيبه، فعاد إلى المركب ليقضي فيه ليلةً أُخرى[٤٤].

وعند استقراره في المسكن، التقى (ديللافاليه) بمعتمَد البرتغاليّين في البصرة، السيّد (كوفسالنو ماتينيز دي كاستيل برانكو)، وقدَّم له رسالةَ توصيةٍ من نائب ملك (غوا)[٤٥]، فأحسن استقباله، وأطلعَه على أخبار مهمّة عن البصرة وبلاد فارس والحُويزة، ومنها أخبار عن علاقة الحُويزة مع بلاد فارس.

والطريف في الأمر أنّ (ديللافاليه) كتب في (٢٢ آذار ١٦٢٥م)، معلوماتٍ عن بعض ما يجري قرب بيت الباشا (حوش الباشا)، ومنها تربية بعض الحيوانات غير المألوفة، ومنها حمارٌ أبيضُ اللّون، وفي ظهره خطٌّ أشقر اللّون،

يبدأُ من رأسِهِ وينتهي عند ذيلِهِ، وهو سريع الجري[٤٦].

وصفُ البصرة

وصف (ديللافاليه) البصرة بأنّها مترامية الأطراف، عامرة بالسكّان، أمّا مركز المدينة، فهو رديء العمران، وأرضها مفتوحة؛ لأنّها غير مسوَّرة، وقدْ أُحيطتْ بسورٍ مؤخَّراً، وعزا ذلك إلى التهديدات الفارسيّة لها، وبيَّن أنَّ في السُّورِ أبراجاً من الطِّين، وقدْ شاهَدَ البعضَ منها متهدِّماً، وكان للمدينةِ أبوابٌ تُقفل، وفيها أسواقٌ متنوِّعة، منها: سوق الصّاغة، وسوق المنسوجات، وأسواق أُخَر تُباع فيها مختلف البضائع التي تروج في الأسواق[٤٧]. وذكر أنّ أمام القلعة والسُّوق ساحةً واسعةً تنتشر فيها المدافع من العيار الثقيل، بعضها برتغاليّة الأصل، كان البصريّون قدْ غنموها في (مسقط) قبل عدّة سنين، عندما كانتْ سفُنُهم تمخَر عَبَاب البَحرِ، لكنّ البرتغاليّين تمكّنوا مِن تدميرها فيما بعد[٤٨].

وفي داخل المدينة، مقابل دار الباشا (حوش الباشا) ساحةٌ كبيرةٌ تُباعُ فيها الأغنام، والحبوب من الحنطة والشّعير والرُّز، ومختلف الخضروات، وهذه السّاحة مفتوحة في اللّيل والنهار، والبضائع معروضة منْ دون دكاكين ولا أقفال [أي: تُباع على الأرضِ على شكلِ فُرُشٍ تُوضع عليه الحاجات]، ولا خوف عليها من السُّرّاق، فالعِقاب الذي يُنزله الأتراك باللُّصوص يكون قاسياً[٤٩].

وقدْ توهَّم (ديللافاليه) أنّ حاكم البصرة تركيٌّ، وحقيقة الأمر، أنّه الأمير (علي باشا أفراسياب)[٥٠] (١٦٢٣-١٦٥٠م)، من أُسرة أفراسياب.

وفي وصفِهِ السكّان وطوائفهم، بيَّن أنّ معظمَهم من العرب، وفيهم عددٌ

قليلٌ من الأتراك، واللُّغة العربيّة الأكثر انتشاراً في المدينة، واللُّغتان العثمانيّة والفارسيّة مألوفتان فيها -أيضاً-.

وصفُ الواقع الدينيّ في البصرة

يذكر(ديللافاليه) أنّ أهلَ البصرة مسلمونَ، من السُّنّة والشِّيْعة، ويُعلِّق على العبادات بقوله: «النّاس أحرار في عباداتهم»، ويستدرك على الأذان بأنّه على طريقة أهل السُّنّة، وتُقام الصّلوات حسب طريقتهم؛ لأنّ البصرة خاضعة للسُّلطان العثمانيّ في إسطنبول[٥١](بشكلٍ اسميٍّ).

وفي معرض كلامه عن طائفة الصّابئة في البصرة، يُسمِّيهم (النّصارى الكِلدانيّين)، أو نصارى (القدِّيس يوحنّا)، أو الصّابئة، ولم يستطِعْ تحديد أعدادهم، ويذكر أنّه ليس لهم من النصرانيّة إلا الاسم-كما يظنُّ- لعدم وجود كنيسة لهم في البصرة، وكانوا يذهبونَ إلى بيت كاهنهم ليصلُّوا فيه، أو يُتمُّوا مراسيمهم الدّينيّة، وليس لهم طقوس تُشابه النّصارى، وذكر أنّهم يتناولونَ اللّحوم على طول الأيّام، وعمادهم يُشبِه عِماد (القدِّيس يوحنّا)، وهم يُجِلُّونه ويبالغونَ في تقديسه، ولم يستطع البتّ في نوعيّة ديانتهم، فظنَّ أنّهم مِن بقايا اليهود الذين نالوا العِماد على يد (يوحنّا)، وهم يُعرفونَ عند الأهالي باسم (الصّابئة)، ويتكلّمونَ فيما بينهم بلغة كلدانيّة محرّفة، تُسمّى (المندائيّة) إلى جانب العربيّة، ويُطلِقونَ على أنفسهم تسمية (مندائي)، بينما يُسمِّيهم الأوربيّونَ (نصارى القدِّيس يوحنّا)، وليس لهم أناجيل، ولا كتب أُخَر مقدَّسة، ماعدا كتاباً خاصّاً بهم يُسمّى (السّذرا)[٥٢]، وهم يتّبعونَ أحكامه الدّينيّة، أمّا لغتُهم،

فحروفها خاصّة، تختلفُ عن الكلدانيّة والسّريانيّة القدِيمة والحديثة، وبهذهِ الحروف يكتبونَ أسفارهم المقدّسة، وعامّة الصّابئة لا يعرفون هذه اللُّغة، لا كتابةً ولا تكلُّماً، ويقتصر الأمر على كهنتِهم. وتوجد المراكز السكّانية للصّابئة في البصرة، ويوجد بعضهم في (الدّورق)[٥٣]، و(تستر)[٥٤]، وفي منطقة (الحويزة) القريبة من البصرة يوجد أكبر تجمّع لهم هناك[٥٥].

وبيّن(ديللافاليه) أنّ الطائفة الأخرى الكبيرة في المدينة، هي من المسيحيّين؛ ونظراً إلى وجود عددٍ كبيرٍ من المسيحيّين في المدينة -على حدّ قوله- فقدْ فتح الرُّهبان الكرمليّين[٥٦] مبعثاً لهم فيها، وجاء مِن بعدهم الرُّهبان الأوغسطينيّونَ البرتغاليّون. ولكلٍّ رهبانيّةٍ كنيسة خاصّة بهم تُقام فيها الشّعائر الدّينيّة، حسب الطّقس الرّومانيّ. ووصفَ الرّحّالة (ديللافاليه) معبد الآباء الكرمليّين، بأنّه مشيَّدٌ بشكلٍ جميلٍ مع ديرٍ ملحقٍ به، فيه صوامعُ الرُّهبان، وغرف لعابري السّبيل، وقدْ اشتروا قسماً من الأرض بمالهم الخاصِّ، والقسم الآخر وهبهم إيّاه الباشا والي البصرة (علي باشا أفراسياب)[٥٧].

تمَّ افتتاح كنيسة الآباء الكرمليّين في البصرة في الثالث عشر من نيسان (١٦٢٥م)، عندما أكمل الأب (باسيل فرنسيس الكرمليّ) تشييد الكنيسة والدّير الخاصّ برهبانيّته في البصرة، وأقام احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة، وزيّن الكنيسة والدّير، وهَرَع النّصارى من أوربيّينَ وشرقيّينَ على اختلاف طوائفهم، للاشتراك بهذا الاحتفال، بافتتاح كنيسة (مريم العذراء)، (أمّ الشّفاء). وفي المساء أُشعلتْ الأنوار في المكان، وأُوقدتْ النّار، وأطلق الجنود البرتغاليّونَ العيارات النّاريّة، وأرسل الوالي نحو خمسمائة من جنوده، ليشاركوا في الاحتفال، وقام

هؤلاء بدورهم بإطلاق العيارات النّاريّة، فضلاً عن ذلك قامتْ مدافع القَلعة بالإطلاق، للمشاركة في الاحتفال، وبالغ (ديللافاليه) في القول بأنّ المدينة كلَّها احتفلتْ بالمناسبة، النّصارى والمسلمونَ على السّواء.

وفي مساء اليوم الثاني قبل غروب الشّمس، زار الوالي مع حاشيته الكنيسة والدّير، وسط احتفاء الأب الرئيس به بالمراسيم اللائقة، وتقديم أنواع الحلويّات والمرطّبات على عادة أهل البلد، بنحوٍ أرضى الوالي ومَن معه، فخرجوا مسرورينَ، وقدَّم الوالي عند خروجه هديّةً ماليّة للكنيسة، وكان القبطان البرتغاليّ وربابنة السُّفن، وكبار رجال البحريّة، وجميع الإفرنج (الأوربيّينَ) حاضرينَ، ولم يحضر (ديللافاليه) الافتتاح؛ لوعكةٍ صحّيّة ألـمّتْ به[٥٨].

لم يشيِّد الرّهبان الأوغسطينيّونَ[٥٩] ديراً خاصّاً بهم، وكانوا متردِّدينَ كثيراً في هذا الشّأن، فلم يجسروا على ذلك؛ خوفاً من سقوط البصرة في قبضة الفرس؛ لأنّ الحرب كانت قائمة بينهم وبين العثمانيّينَ؛ لذا اكتفوا باستئجار دارٍ للسكن لإقامة الصّلاة فيها، وكان الوالي يدفع ثمن استئجارها، وقدْ جعلُوا إحدى غرف الدّار معبداً وفتحوهُ للمصلِّينَ، وكان رئيس الدّير مقلَّداً وظيفة نيابة أُسقفيّة (غوا)، ومعه راهبٌ آخَر، وكان بين ديرهم ودير الآباء الكرمليّينَ منافسة شديدة على الحقوق والرّئاسة، وكان الوالي يُحسِن معاملة البرتغاليّينَ وسائر الأوربيّينَ؛ نظراً إلى المساعدات الكثيرة التي تلقّاها منهم، حتّى وقت زيارة (ديللافاليه) البصرة، وكان-أيضاً- يدفع المبالغ للمراكب الخمسة المستأجَرة من البرتغاليّينَ -على حدّ قوله-[٦٠].

دخل (ديللافاليه) من شطّ العرب إلى نهر العشّار، ولم يسمِّه باسمه، بل

سمّاه (النهر الدّاخلي لنهر شطّ العرب)، وذكر وجود قلعة معتدلة البناء، في الجانب الشماليّ من نهر العشّار، وهي مكان الكمرك للسُّفن التي تنقل البضائع، ويقابل القلعة مسجدٌ، وهو مسجد الإمام (عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام) الحالي. وعند دخوله نهر العشّار دفع تيّارُ الماء سفينته إلى جهة المسجد، وهناك رأى قائد الأسطول البرتغاليّ، ومعه سفنُه الخمس، وثلاث سفن في شطّ العرب، وكان الوالي معهم، ويتوقّعون هجوماً فارسيّاً على البصرة. وعند دخوله نهر العشّار، رافقه الأب (باسيل الكرملي) مع راهبٍ إيطاليٍّ، وتعرّضوا إلى بعض المشاكل في مركبهم أثناء الدّخول في نهر العشّار بفعل ارتفاع المدّ، فاستدار المركب، وبعدها استمرّ بالمسير داخل المدينة، وذكر أنّ هناك الكثير من البيوت على جانبي النهر، وكانت البساتين متّصلة، وبعدها توقّف المركب داخل المدينة من الجانب الشماليّ من النهر؛ إذْ يكثر عددُ السكّان هناك[٦١].

وصفُ الأحداث العسكريّة

اهتمّ (ديللافاليه) في زيارته البصرة بنقل الأحداث العسكريّة والسّياسيّة في المنطقة؛ إذْ كان العثمانيّونَ يُعِدُّون العُدّة لطرد الفرس من بغداد، وفي ذلك اليوم ذكر لنا أنّ المنادي أعلنَ في المدينة أنْ يخرج رجلٌ من كلِّ بيتٍ، ومعه سلاحه، فيلحق بالجيش ليساعد الوالي في حربه ضدَّ الفرس؛ وذلك لوصول أخبار عن اقترابهم من البصرة[٦٢].

وثَّق (ديللافاليه) في (١٩ آذار) قيام رجلٍ من أكابر البصرة، هو الشّيخ (عبد السّلام العبّاسيّ)[٦٣] بتحشيد أهالي البصرة، فجمع حوله عدداً من أفراد

أسرته وأصدقائه وأتباعه، وتوجَّهوا إلى جبهة القتال؛ لنجدة والي البصرة (علي باشا أفراسياب)، وانضمّ إليه نحو مئتين من طائفة الصّابئة يحملونَ البنادق، ومختلف أنواع الأسلحة، وبيَّنَ أنّ هذا الجمع لا يُقارن بقوّة الجيش الفارسيّ، واستعدادهم القتاليّ[٦٤]. فذَكر لنا أنّ الشّيخ (منصور)، الذي تولّى حُكم الحُويزة بعد وفاة أخيه (مبارك)، كان يُراسل والي البصرة، ويبتعد عن إغراءات الشّاه (عبّاس الصّفويّ)، بأنْ يكونَ تابعاً له.

وعند كلامه عن أُسرة (أفراسياب) لم يكن (ديللافاليه) دقيقاً؛ إذْ عدَّ (أفراسياب) مغتصِباً للسُّلطة في البصرة، إلا إنّ الأمر غير ذلك؛ وذلك لأنّ الأخير اشترى الولاية مِن الوالي العثمانيّ (علي باشا)؛ لعدم قدْرتِهِ على ضبْط أُمور الولاية، وانتشار الفوضى فيها[٦٥]، إلا إنّ كلامه عن أسباب السّيطرة الاسميّة للعثمانيّينَ على البصرة، التي أوجزها بقدْرات (أفراسياب) الإداريّة والسّياسيّة، وبُعد البصرة عن إسطنبول، وكلمته المسموعة بين البصريّينَ، وقُرب البصرة من الفرس أعداء الدولة العثمانيّة، كانت صحيحة، وقدْ استقاها من المسيحيّينَ البرتغاليّينَ في البصرة، أو كما بيّن هو أنّ صديقه (الشّاهبندر الخواجة نجم) قدْ أخبره بها. وقدْ ذكر لنا أنّ حكومة فارس علمتْ بتقرّب الشّيخ (منصور) من والي البصرة، وعدم احترامه الشّاه، إلا أنّها لم تقطع العلاقات به، وحينما انطلقت حملة الشّاه على بغداد سنة (١٦٢٣م)، تمّت دعوة الشّاه للشّيخ (منصور) من أجل المشاركة في هذه الحملة، إلا أنّ الأخير أعطى تبريرات غير مقنعة للشّاه، وعند رجوع الشّاه من حملته على بغداد إلى أصفهان، دعا الشّيخ (منصور) للمجيء إلى بلاطه، إلا أنّه كان يماطل ولم يذهب أبداً، وعندها غضب الشّاه،

وكتب إليه بالمجيء فوراً، وهدّده بأنّه سيُرسل إليه مَنْ يقطع رأسه إنْ امتنع عن المجيء، وكان جواب الشّيخ (منصور) حازماً شجاعاً بقوله:«إنْ أراد الشّاه قطع رأسي، فليتفضّل بنفسه؛ لأنّه مستعدّ للدّفاع جيّداً عن رأسه بالسّيف»، وزاد على ذلك بقوله: «إنْ كان الشّاه ملِكاً على فارس، فهو ملك الحُويزة، ولا يعترف به أبداً»(٦٦).

عُدّ هذا الموقف من الشّيخ منصور تحدّياً كبيراً لشاه إيران؛ لذا صمَّم الأخير على معاقبته، وخلعه عن حكم الحُويزة، وقام لتحقيق هدفه بإرسال حملةٍ عسكريّةٍ بقيادة (إمام قلي خان)، واصطحب معه (محمّد بن مبارك)، الذي أقنعته حكومة الشّاه بأنّه أحقّ بالحُكم من عمّه (منصور)، بعد وفاة والده، وكان موجوداً في بلاط الشّاه منذ وفاة والده.

وصلتْ الحملةُ إلى الحُويزة، واتّصلتْ مع بعض شيوخها المؤيّدينَ لـ(محمّد ابن مبارك)؛ ليكون شيخاً عليهم بدلاً من (منصور)، وأمام هذا الأمر اضطرّ الشّيخ (منصور) إلى مغادرة الحُويزة مع خمسمائة من أتباعه المخلصين، والتجأ إلى البصرة؛ إذْ استقبلهم الوالي (علي باشا أفراسياب) بترحابٍ كبيرٍ، وأقطعه أرضاً واسعةً بالقرب من الحُويزة، ليستقرّ فيها مع أتباعه(٦٧).

لم يكتفِ الخان (محمّد) بالحُكم في الحُويزة، بل صمَّم على دخول البصرة عن طريق القُرنة -التي تُعَدُّ خطّ الدّفاع الأوّل عن البصرة من جهة الشّمال- والتوغّل في الولاية، لكنّ والي البصرة كان متأهّباً للقتال خارج البصرة، وسط عساكره، ومعه ثلاث سفن برتغاليّة حربيّة مستأجرة، إلا إنّ القلق والخوف قدْ خيَّم على البصرة؛ لأنّ جيش الفرس كان أكثر عدّةً وعدداً من جيش البصرة(٦٨). وقدْ

روى القائد العام للقوّات البرتغاليّة لـ(ديللافاليه) كيف حاول الفرس نقل سبع قطع مدفعيّة من أحد موانئهم إلى (الدّورق) لاستخدامها في ضرب البصرة؛ لذا قرّر القائد البرتغاليّ إرسال سفينتين سريعتي الحركة للتصدّي لهذه المحاولة(٦٩).

وقبل هذه المدّة زار (الشاهبندر الخواجة نجم) الرحّالة (ديللافاليه) وأخبره عن ما يجري من أحداث، ومنها أنّ الفرس تُعِدُّ جيشاً تعداده ثلاثون ألفَ مقاتلٍ تحت إمرة سبعة من (خاناتهم)، [الخان هو لقب الأمير، أو الوالي على المقاطعات الفارسيّة]، وذكر الخواجة (نجم) أنّ فيضان شطّ العرب في ذلك الوقت حال دون تقدُّم تلك القوّات، وهذا يُعدُّ مصدر قوّة للبصرة إلا أنّ انحسار المياه بعد ثلاثة أشهر قدْ يُسهّل للفرس إقامة جسر شمال البصرة، والعبور إلى الأراضي هناك، وعند ذاك لا تُجدي السُّفن البرتغاليّة نفعاً؛ لتعذّر وصولها إلى هناك؛ بسبب عدم صلاحيّة النهر للإبحار. وتشاءم الخواجة من مصير البصرة؛ لأنّ هناك طرقاً كثيرة تؤدّي إليها، سواء أكانت من بغداد -التي استولى عليها الفرس- أم الحلّة التي تقع تحت سيطرتهم، والجهة الوحيدة التي يمكن أنْ تقدِّم النجدة للبصرة هي جهة البادية، التي يُسيطر عليها أميرها (مدلج أبو الريش)، والأصحّ (أبو ريشة)، وأخبره عن كيفيّة احتلال الفرس لبغداد وكركوك والموصل، ولم يصدّق الأقوال بأنّ جيشاً تركيّاً جرّاراً تحرّك لاستعادة بغداد والموصل وكركوك، وعدّها شائعات لتقوية معنويات أهالي البصرة(٧٠).

والمهمّ ذكرُه، أنّ علاقات الشّاه مع حكّام البصرة الجُدد(أسرة أفراسياب) كانت غير ودّيّة، فبعد أنْ استولى الشّاه على (هرمز) سنة (١٦٢٢م)، أرسل سفيراً إلى والي البصرة يطلب منه تنفيذ بعض المطالب، وهي: أنْ يذكر اسمه

في (خطبة الجمعة)، وأنْ تُسَكّ النقود باسمه، وأخيراً، طلب منه أنْ يأمر شعبه بأنْ (يتعمّم) أهل البصرة على طريقة الفرس، مقابل أنْ يبقى حاكماً مطلقاً على البصرة، وأنْ يكون الحُكم فيها وراثيّاً في عائلته، ولا يتدخّل في شؤونه، ويدافع عنه ضدّ العثمانيّين، وضدّ أيّ تدخّلٍ أجنبيٍّ، ولا يطلب منه فرض أيّ ضريبة على البصرة، بل يترك لهم الحرِّية التامّة، وكان ردّ والي البصرة (علي باشا أفراسياب) [الذي يصفه (ديللافاليه) بالرّجل الفطِن الذي يعرف جيّداً أهداف الشّاه، ولم يطمئنّ بوعوده، فضلاً عن ثقته بمساعدة القوّات البحريّة البرتغاليّة في البصرة، لاسيَّما أنّ القوّات الفارسيّة ليس لها طريق سوى البحر وشطّ العرب، وأنّ الفرس لا يملكونَ قوّة بحريّة تستطيع مجابهة سفن البرتغاليّين] رفض عرض الشّاه، وأمر سفير الشّاه بمغادرة المدينة حالاً؛ خوفاً من اتصاله مع بعض أكابر الولاية الذين لهم ميول مع الفرس، الذين بدورهم يؤثّرونَ في النّاس.

لقدْ كان ردّ (علي باشا) حاسماً، وفي لهجة دبلوماسيّة أكّد أنّه من أتباع السُّلطان العثمانيّ، ويفضِّل الموت هكذا، وهو مستعدٌّ للحرب إذا ما أرادها الشّاه[٧١].

ولمّا عرف الشّاه أنّ هذا الأسلوب لا يُجدي نفعاً، اتّجه إلى أُسلوب القوّة، فأمر (خان شيراز) -وهو من أقوى حكّام ولايات فارس- بتجهيز حملةٍ عسكريّةٍ للاستيلاء على البصرة.

سارت الحملة في طريق تستر إلى الحُويزة، ودخل حدود ولاية البصرة إلى الشّرق من المحمَّرة، وكان ذلك في نهاية سنة (١٦٢٣م)، وقام بمحاصرة قلعة (قبان)، وكادت أنْ تسقط بأيديهم، لولا مساعدة السُّفن البرتغاليّة، التي أمطرتهم بوابل من قذائف مدفعيّتها، فانكسر الجيش الفارسيّ، واضطرّ إلى الجلاء عن

المنطقة[٧٢]. وذَكر لنا أنّ الفرس عند انسحابهم السّريع، تركوا عدداً كبيراً من مواشيهم، وكمّيّة وافرة من المؤن، وبرّر لنا هذا الانسحاب السّريع غير المتوقّع، أنّه لم يكن فراراً أمام جيش الوالي، ولكن لأحد أمرين، إما أنّ (هرمز) كانت في خطر، أو أنّ أحداثاً كبيرةً كانت على وشك الوقوع من طرف العثمانيّينَ، أو من جهة المغول[٧٣].

في نهاية شهر آذار عادتْ إلى البصرة سفينتان برتغاليّتان لقصف المدافع الفارسيّة الموجودة في (الدّورق)، لكنّهم لم يجدوا أثراً لتلك المدافع، وربّما أخفاها الفرس في مكانٍ آخر، لكنّ السُّفن وضعتْ يدها على ثلاثة قوارب فارسيّة، وقامتْ بأسرها، وكانت محمّلةً بالبضائع، وكان فيها رجلٌ غنيٌّ، حاول تخليص نفسه بدفع فديةٍ ماليّةٍ، لكنّهم رفضوا، وقاموا -أيضاً- بقتل جميع الأسرى، وعلّق (ديللافاليه) على ذلك بأنّها أفعالٌ فظيعةٌ، اعتاد البرتغاليّونَ على فعلها في الخليج، وفعلوا أفظع منها في الهند[٧٤].

وفي السّابع من نيسان عاد الوالي مع جيشه إلى البصرة، بعد أنْ زال الخطر الفارسيّ، ودخل إلى مركز المدينة مع الفجر باحتفالٍ مهيبٍ، وعلى وَقْع أصوات المدافع[٧٥].

في الرابع عشر من نيسان (١٦٢٥م) وصل مبعوث من السّردار(رئيس الوزراء)، وهو حاجب السّلطان (القبوجيّ) إلى البصرة، وهو يحمل خِلعةً كهديّةٍ، وأخبره أنّ الجيش العثمانيّ قدْ زحف لاستعادة بغداد، إلا أنّ (ديللافاليه) يرى أنّ تلك الأخبار غريبة؛ لأنّ تحرّكه من إسطنبول في شهر آذار مِن تلك السّنة، واستعداده في حلب لجمع ما تحتاج إليه الحرب يستدعي وقتاً أطول حتّى

يصل إلى بغداد؛ ولذا فمن الصّعوبة وصوله بهذه السّرعة، وأنّه لم يُصدِّق قُرب وصول جيش السّردار، كما أُشيع بين النّاس(٧٦).

وخلال تأهّب (ديللافاليه) للسّفر من البصرة، ذَكر لنا خبراً يتضمّنُ صدور أمرٍ من الشّاه إلى (الخان) الحاكم في بغداد، بأنْ يطلب من أمير البادية (ناصر) القيام على قطع الطريق على القافلة المتوجِّهة من البصرة إلى حلب ونهبها، وكان التجّار في البصرة والمسافرينَ قدْ أكملوا استعداداتهم للرحيل، فداخَلَهُم الخوف من هذه الإشاعة، وبعثوا رسولاً منهم من أكابر أهالي البصرة إلى الأمير (ناصر)، يستوضحونَ منه الخبر، وهل باستطاعتهم السّفر، وهل للقافلة المرور بسلام؟(٧٧).

ويُرجِع (ديللافاليه) هذا الإجراء من الشّاه إلى محاولته محاربة البصرة اقتصادياً؛ لأنّه بعد سيطرته على (هرمز)، فقدتْ أهمِّيّتها التجاريّة، وانتقلتْ الحركة التجاريّة إلى البصرة، المدعومة من جيشها، والقوّة البحريّة البرتغاليّة المرابطة فيها، وافتقار الشّاه إلى القوّة البحريّة الكافية، التي تستطيع أنْ تقف بوجه القوّة البرتغاليّة التي تمنع عن وصول البضائع إلى البصرة؛ لذا كان مصمِّماً على أنْ يُحارب البصرة ليحرم البرتغاليّين من الحصول على موطئ قدَمٍ لهم في المنطقة، ويضطرّهم إلى الرّجوع إلى أحد موانئه دون أنْ يسلِّم لهم (هرمز)، وبما أنّه لا يستطيع إيقاف التجارة بين الهند والبصرة، فقدْ حاول عدم وصولها إلى حلب. وشكّك (ديللافاليه) بأنْ يوافق الأمير (ناصر) على طلب الشّاه هذا؛ لاستفادته من مرور القوافل على هذا الطريق؛ لحصوله على الإتاوات من المسافرين والتجّار، فضلاً عن كونه عربيّاً فلا يعمل ضدّ أبناء جِلدته(٧٨).

ذَكَر (ديللافاليه) وصول مبعوث آخر إلى البصرة في التاسع من آيار (١٦٢٥م) من قبل السّردار، في جهوده لاستمالة والي البصرة إلى الدولة العثمانيّة ضدّ الفرس، فاستُقبل بحفاوةٍ، وأطلقت المدفعيّةُ عياراتها إكراماً له، وبدوره جلب معه خلعةً جديدةً للوالي، وأخبره أنّ الجيش العثمانيّ في طريقه إلى بغداد، ولم يتأكّد تماماً من الخبر، وقال: إنّ ذلك يقع في مجال رفع معنويّات الباشا وأهل البصرة تجاه الفرس.

وبعد أيّام وصل مبعوثٌ ثالثٌ من قبل السّردار، يحمل خلعةً، وقرداً، وفرماناً (مرسوماً سلطانيّاً) بتثبيت الوالي على حكم البصرة؛ لأنّه لم يحصل -حتّى ذلك الوقت- على تأييد السّلطان(٧٩).

الشروعُ بمغادرة البصرة

في الحادي عشر من آيار تحرّكتْ القافلة للسّفر -ويبدو أنّها أخذت الضّوء الأخضر من الأمير ناصر- وخيَّمتْ خارج المدينة ببضعة فراسخ للسّير باتجاه حلب، طريق (بصرة-حلب) التجاريّ، وأتمّ (ديللافاليه) استعداداته، واستأجر عدداً من الجِمال لحسابه الخاصّ، وربّما اشترى بعضَ السّلع من البصرة لبيعها في حلب، وأوعز رئيس الشّرطة في المدينة (علي أغا) إلى رئيس الجمّالين (كروان باشي) المدعو(حاج أحمد الأسود)، بالتريُّث عن السّفر لمدّة ثلاثة أيّام، إلا أنّ رئيس الشّرطة منع (ديللافاليه) من السّفر مع القافلة، وطلب منه التريُّث لمدّة أسبوع لقضايا أمنيّة، إلا أنّه التجأ إلى معتمد البرتغاليّينَ في المدينة للتوسّط في سفره، ولكنّ رئيس الشّرطة أقنعه بضرورة تأجيل السّفر لمصلحته، فاقتنع

(ديللافاليه) بذلك[٨٠].

يصفُ (ديللافاليه) أيّامه الأخيرة في البصرة قبل سفره، بترك بيته المؤجّر، وحمل حاجاته إلى دير الآباء الكرمليّين، لمجيء صاحب البيت (الأمير زنبور) [أحد أمراء الإمارة المشعشعيّة في الأحواز]، وفي مساء الحادي والعشرين من آيار، توجّه إلى (المشراق)[٨١]، وهناك دفَعَ رسوم السّفر.

سارتْ القافلة في طريقها، واتّجهت إلى كويبدة (جوبيدة)[٨٢]، وكان فيها شيخ يُدعى (عبد الله) يجمع الإتاوات من القوافل العابرة، ويذكر أنّ المسافرينَ دفعوا في الطريق الصحراوي أربع مرّات، الأولى كانت في (كويبدة)، والثانية في البادية، استوفاها شيخ عربيّ اسمه (أبو خالد)، والثالثة دُفِعتْ إلى شيخ عربيّ ثالث يلقب بـ(الأعور)، ولم يخبرنا باسم الشّخص الرابع الذي دُفِعتْ إليه الإتاوة[٨٣].

وبعد مغادرة القافلة (كويبدة)، وصلتْ إلى منطقة آبار تسمّى (الغنيمات)، وأبلغنا رئيس الجمّالينَ بتوخّي الحذر والحيطة من قطّاع الطّرق، وبعدها مررنا بقرية تُسمّى (العرجة)، يحكمها (حسن أغا الكردي)، وفي هذه المنطقة تمّ تحذيرنا من مهاجمة رعاة الجاموس، الذين يُسمّون (المعدان)، وسارتْ القافلة في اليوم التالي حتّى وصلت إلى خرائب الأبنية القديمة في (أور)، وأعطانا وصفاً مختصراً عن تلك الآثار، وبعدها واصلتْ القافلة مسيرتها إلى حلب[٨٤].

رحلةُ الأب (فيليب الكرمليّ)

تُعدُّ رحلة الأب (فيليب الكرمليّ)[٨٥] من أقدْم الرّحلات، التي توجد فيها معلومات جيّدة عن العراق، في النصف الأوّل من القرن السّابع عشر، وأطلق عليها اسم (الرّحلة الشرقيّة)، وكان سبب سفره إلى البصرة قيام الحرب بين العثمانّيينَ والفرس في سنة (١٦٣٠م)، وكان في أصفهان التي وصلتها جحافل الجيوش العثمانيّة، فتقرّر أنْ يغادر بعض الرُّهبان إلى البصرة، وكان الأب (فيليب) منهم، فغادرها عن طريق البحر، وقدْ كانت سفرتُهم مضنية، وكادتْ سفينتُهم تغرق، ونفدتْ مؤونتهم، وعندما اقتربوا من الشّاطئ، ولعلّه بدايات نهر شطّ العرب من جهة الجنوب، استقبلهم أهالي المنطقة بزوارقهم[٨٦]. ووصف هذا المشهد بصورةٍ بديعةٍ، بقوله: «يُقدِّمُ عرب البصرة ضيافةً لامثيل لها نحو الغرباء، بكرمٍ ولطفٍ عاليين، وهذا ما حدث لي ولرفاقي عندما قدِمنا إليها بحراً من فارس، ونفدتْ مُؤنتنا، وكِدنا أنْ نموتَ جوعاً وعطشاً، وما أنْ وصلنا إلى أحد قراهم، حتّى قدَّموا لنا خبزاً ولبناً وتمراً، وكلَّ ما عندهم في ذلك الموسم، وعندما أكلنا وشبعنا، طلبنا منهم المزيد على سبيل الشّراء، فأعدُّوا لنا كلّ ما طلبنا، ورفضوا رفضاً باتّاً استيفاء ثمن ما قدّموه لنا، وقالوا باعتزاز: إنّ الضّيافة واجبة لكلِّ عابر سبيل أيّاً كان، وإذا أردتُ أنْ أقدِّم شيئاً لقاء ذلك، فعند خروجي أعطيتُ مقدْاراً من المال بيد الأولاد، ولم تكن هذه الحادثة وحيدة، بل صادفتنا أكثر من مرّة»[٨٧].

وعند وصوله إلى البصرة في (١٥ تمّوز ١٦٣٠م)، نزل في دير الآباء الكرمليّينَ،

وبقي فيه خمسة عشر شهراً؛ ليتعلّم اللّغتين العربيّة والفارسيّة. وفي هذه السّنة حدثت مشكلة بين حاكم شيراز الفارسيّ، وبين والي البصرة، عندما هرب شابّ نصرانيٌّ كان أسيراً عند حاكم شيراز(إمام قلي خان)، وقدْ أوفده الأخير في مهمّة خاصّة إلى الحُويزة القريبة من البصرة، إلا أنّ الشّابَّ انتهز الفرصة وهرب إلى البصرة للتخلّص من العبوديّة، ونزل في دير الكرمليّينَ، ولمّا علم حاكم شيراز بذلك أرسل إلى والي البصرة يطلب منه إعادة الشابِّ النصرانيِّ، وكانتْ علاقة والي البصرة (علي باشا أفراسياب) حسنة مع الآباء الكرمليّينَ في المدينة، فدعاهم وطلب إحضار الشابّ، وفي الطريق خطفه رجالُ الباشا، إلا أنّ آباء الدّير قاموا بزيارة لاحقةٍ للباشا، ورافقهم تاجرٌ برتغاليٌّ غنيٌّ، ومعه هدايا معتبرة للباشا، فلبّى الباشا طلبهم وسلّم الشابَّ إليهم[٨٨]، وبيَّنَ الرّحّالة (فيليب) أنّ الشّابَّ النصرانيَّ كان مكلّفاً بإيصال رسالةٍ إلى والي البصرة، طالباً منه تسليم قِطع الأسطول البرتغاليّ الموجودة في البصرة، والمؤلَّفة من خمس وعشرين سفينة؛ شرطاً لعقد السّلام مع البصرة؛ لأنّ الفرس كانوا بأمسِّ الحاجة إليها؛ بسبب قلّة السُّفن الصّغيرة الصّالحة للقتال عندهم، وعندما عرف البرتغاليّون بذلك أسرعوا في تحميل مراكبهم بالتمور في شطِّ العرب، وأقلعوا نحو البحر (الخليج العربي)[٨٩].

وخلال مشاهداته في البادية- في طريق سفره-يذكر أنّ الأعراب فيها يقومونَ بجمع (الكمأ)[٩٠]، ويحملونه إلى البصرة، ويُباع فيها بأسعارٍ بخسة، ويشتريه البرتغاليّونَ ويتاجرونَ فيه؛ إذْ يُستعمل دواءً، وتستغرق السّفرة من البصرة إلى حلب مدّة شهرين[٩١].

وفي وصفه البصرة، يقول عنها: إنّها مدينة واسعة، تبعد نحو ميل عن النهر [أي: نهر شطّ العرب]، ويتفرّع منه فرعٌ كبيرٌ [نهر العشّار] يمرُّ حول أسوار المدينة[٩٢]، وهي كثيرة الخيرات، وتأتيها البضائع من الهند، وفيها من الفواكه(العنب، والتفّاح، والرّمّان)، ويكثر النخيل فيها، وهو على مدّ البصر، في جميع الجهات، كما يوجد فيها الرُّز، أمّا القمح، فيُجلب من بلاد فارس، وتقوم السُّفن البرتغاليّة بجلب البضائع الهنديّة إلى البصرة، ثمَّ تعود محمَّلةً بالتّمور والفواكه على أنواعها، والسّجّاد والجِياد العربيّة الرائعة[٩٣].

وفي وصفه مجتمع البصرة، بيَّنَ أنّ معظم سكّانها عرب، وفيها أتراك مِنَ العسكريّين، أمّا الفُرس، فيفِدون إليها من أجل التجارة، ويُطلِق الأهالي عليهم لقب (الأعاجم)؛ لذا نجد أنّ اللّغتين التركيّة والفارسيّة منتشرتَان في المدينة[٩٤]، وفيها مِن النصارى عدّة طوائف، منها: الأرمن، والنّساطرة[٩٥]، واليعاقبة[٩٦]، وهناك طائفة الصّابئة المندائيّينَ، ويسمِّيها الرّحّالة الأوربيّونَ باسم نصارى (القدِّيس يوحنّا)، ولكنّ الأب (فيليب الكرمليّ) يُصحِّح ذلك، ويقول: إنّهم ليسوا نصارى[٩٧].

وفي معرض كلامه عن الوضع السّياسيّ في البصرة، أوضح أنّ علاقة والي البصرة، ويُسمِّيه (الباشا)، مع النصارى فيها جيّدة، وتضمّنتْ زيارته للدّير إعطاء الهدايا للآباء فيه، وأشار إلى نيّة (الباشا) نقل مدينة البصرة إلى ضفّة نهر شطّ العرب، الذي يُسمِّيه خطأً (شطّ الفرات)، وفعلاً قام ببناء قلعتين جميلتين هناك، وأسوار ودور كثيرة، وحفر حولها خنادق عريضة وعميقة[٩٨].

الخاتمة

تناول البحث ثلاث رحّالة زاروا البصرة في بداية القرن السّابع عشر الميلادي، الأوّل (بيدرو تيخيرا)، الذي وصف أنهار البصرة، وطيورها وحيواناتها الأليفة، وبيّن أنّ ميناء البصرة كان في بداية نهر السّراجي، وأُعجب بنهر العشّار والبساتين على ضفّتيه، ووصف العمران في البصرة بصورة سلبيّة، إلا أنّه أُعجب بالحمّامات في البصرة ونظافتها، وقدْ وقَعَ بأخطاء في تحديد موقع المدينة الأوّل والثاني.

ودُهِش من تسامح البصريّينَ مع الدّيانات الأُخَر، ومنها النصرانيّة. وصدق بوصفه الإيجابيّ عن التمور وقيمتها التجاريّة، إلا أنّه لم يكن موفّقاً في كلامه عن طعم السّمك في البصرة، وجاء بوصفٍ جيّدٍ عن القوافل التجاريّة، وطريق (بصرة-حلب) التجاريّ.

والثاني هو الرحّالة (ديللافاليه)، فقدْ أعطى وصفاً دقيقاً للأنهار والقِلاع، وهو من أوائل الرّحّالة الذين ذكروا وجود مسجدٍ في بداية نهر العشّار، وهو (مسجد الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام)، الذي ما يزال قائماً حتّى الآن.

وذكر عدم وجود أماكن لإيواء المسافرين إلا القليل جدّاً، وقدْ اهتمّ (ديللافاليه) بذكر الأحداث السّياسيّة والعسكريّة في البصرة، وعلى الأخصّ ما قام به الفُرس من تحشيدٍ لقوّاتهم منْ أجل دخول البصرة، وفشلهم في ذلك، ووصف علاقة والي البصرة (علي باشا أفراسياب) معهم وتحدّيه لهم، وكذلك

سياسة التملّق العثمانيّة تجاهه، وكانت تلك المعلومات هي الأكثر في رحلته.

والرّحّالة الثالث هو (فيليب الكرمليّ)، الذي جاء إلى البصرة بعد قيام الحرب بين العثمانيّينَ والفرس سنة (١٦٣٠م)، وقدّم وصفاً شائقاً لأهالي البصرة، ولطفهم وكرمهم العالي تجاه الغرباء، وكان مِن أوائل الرّحّالة الذين صحَّحوا وأعطوا لنا طبيعة العلاقة الجيّدة بين والي البصرة (علي باشا أفراسياب) مع دير الآباء الكرمليّينَ بشكلٍ خاصٍّ، والنصارى بشكلٍ عامٍّ.

الهوامشُ

١- بيدرو تيخيرا: كُتب اسمه في الترجمات السّابقة باسم (تكسيرا)، أو (تاكسيرا)، والأصحّ هو (تيخيرا)، كما يلفظ في اللّغة البرتغاليّة، وهو رحّالة برتغاليّ، يرجّح أنّ ولادته سنة (١٥٧٠م)، وأنّه زار العراق بين سنة (١٦٠٤-١٦٠٥م). يعتقدُ أنّه ينتسب إلى إحدى العوائل اليهوديّة، بالرُّغم من عدم إشارته إلى ديانته، ولم يُشر إلى الغاية من أسفاره، هل كانت التجارة، أو غير ذلك؟. للمزيد من التفاصيل عن حياته وأسفاره، يُنظر: رحلة (بيدرو تيخيرا من البصرة إلى حلب عَبر الطريق البرّيّ ١٦٠٤-١٦٠٥م)، ترجمة وتعليق: أنيس عبد الخالق محمود، بيروت، ٢٠١٣م: ص ٥-١٤.

٢- السّرّاجيّ: منطقة في قضاء (أبو الخصيب)، جنوب العشّار، كانت الميناء الرئيس للبصرة آنذاك، سُمِّيت بهذا الاسم؛ نسبة إلى صناعة السُّروج فيها. يُنظر: الحيدريّ، إبراهيم بن فصيح بن صبغة الله الحيدريّ البغداديّ، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، القاهرة، ١٩٩٩م: ص١٧٩، والمصطفى، حسين علي عبيد، البصرة في مطلع العهد العثمانيّ (١٥٤٦-١٦٦٨م)، دمشق، ٢٠١٢م.

٣- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص١٢.

٤- الطريق البرّيّ: وهو طريق (بصرة-حلب) التجاريّ (The desert Route)، يُعدُّ من طرق التجارة البرّيّة المهمّة في القرون الحديثة، بدأ استخدامه في القرن الخامس عشر الميلاديّ، واكتسب أهمِّيّة خاصّة على أثر تأسيس شركة الشّرق (levant company) سنة (١٥٨١م)، وكذلك شركة الهند الشرقيّة البريطانيّة، سنة (١٦٠٠م)، وترجع أهمِّيّته إلى نقل السِّلع والبضائع من الهند والشرق الأقصى إلى أوربّة، قبل افتتاح قناة السّويس سنة (١٨٦٩م)، وهذا الطريق كان يسلكه معظم التجّار والمسافرين الذين لا يرغبون في المرور ببغداد، أو لقضايا السّفارات الدّبلوماسيّة. يُنظر: أمين، عبد الأمير محمّد، القوى البحريّة في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد، ١٩٦٦م: ص٣٠، والقهواتي، محمّد حسين،

تاريخ العراق بين الاحتلالين العثمانيّين الأوّل والثاني(١٥٣٤-١٦٣٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٥م: ص٤٠٠.

٥- ثلاثة فراسخ: الفرسخ يُساوي ثلاثة أميال، والميل العربيّ يُساوي(١٩٧٣متراً)، ومن ثَمَّ تُصبح المسافة(١٧،٧٥٤) كيلو متراً. يُنظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلاميّة، ترجمة: كامل العسلي: ص٩٤، وإذا كان (تيخيرا) يقصد بالمدينة (المشراق والسِّيمر)، فقدْ جانَبَ الصّواب في ذلك؛ إذْ إنّ البُعد الصّحيح هو (٥) كيلو مترات.

٦- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٢٨-٤٠. لقدْ بالغ (تيخيرا) كثيراً في احتساب هذه المسافة، والصّحيح أنّها تبعد (٢٢) كيلو متراً، أي ما يقرُب من (٢٤٢، ١٣) ميلاً، وليس (٣٠) ميلاً.

٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص٣١.

٨- الدّجاج البحريّ: يُطلِق عليه الأهالي دجاج الماء، ويكون لونه أسود.

٩- يُنظر: المصدر نفسه.

١٠- البواريّ: نسيج من عيدان القصب، يقوم بصناعته أهل الأهوار في جنوب العراق، ويُستخدم غطاءً للبيوت المبنيّة من القصب أو الطين، وغيرها من الاستعمالات.

١١- هناك رافدان يغذّيان الخندق، هما نهر العشّار من الجنوب، ونهر الخندق من الشّمال.

١٢- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٤٠.

١٣- هذا هو الموقع الثاني لمدينة البصرة، وليس الموقع الثالث؛ إذْ إنّ الموقع الأوّل للمدينة تقع عليه الآن مدينة الزبير، وكان مسجد البصرة الكبير يقع في وسطه، وقدْ أطلق عليه الرّحّالة (ابن بطّوطة) اسم(مسجد الإمام عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه))، ويبدو أنّ (تيخيرا) لم يميّز بين الموقع الأوّل والثاني .

١٤- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٣٧.

١٥- راشد بن مغامس: من شخصيّات إمارة آل مغامس التي حكمتْ البصرة قبل الاحتلال العثمانيّ للبصرة سنة (١٥٤٦م)، وكان قدْ قدَّم فروض الطّاعة للسّلطان العثمانيّ (سليمان القانوني ١٥٢٠-١٥٦٦م) عند احتلاله بغداد سنة (١٥٣٥م)، وعلى أثر ذلك تمّ تثبيته حاكماً على البصرة.

١٦- محمّد بن راشد: أحد أحفاد راشد بن مغامس، الذين تركوا البصرة بعد الاحتلال العثمانيّ لها، والتجأوا إلى بادية البصرة، واتخذوا من منطقة كويبدة (جويبدة) مقرّاً لهم. للمزيد

من التفاصيل عن أسرة آل مغامس، يُنظر: المصطفى، المصدر السّابق: ص١٤٤-١٤٧.

١٧- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٤٠.

١٨- يُنظر: المصدر نفسه: ص٤١.

١٩- يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٤.

٢٠- يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٥، ٣٨.

٢١- لا يوجد في أنهار البصرة -على حدّ علمي- وسيلة نقل نهريّة تسمّى (دانك)، والبلم هو الوسيلة التي تقوم بالنقل، وهو زورق مصنوع من الخشب.

٢٢- يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٦.

٢٣- يُنظر: المصدر نفسه.

٢٤- يُنظر: المصدر نفسه.

٢٥- يُنظر: المصدر نفسه.

٢٦- اللّاريّات: هكذا تُسمَّى في مدينة (لار)، التي قيل: إنّها سُكَّت فيها أوّلاً، وكانت تساوي عشر بنسات، في حين ذكر مصدر آخر أنّ (اللّارين)، أو (اللّاري) كلمة فارسيّة، وهي نوع من العملات المعدنيّة التي كانت تُستخدم في سواحل الخليج، والسّاحل الغربيّ للهند وجزر المالديف، وشكلُها طولانيّ ذات نهايات منحنية. ينظر: هامش المترجم: ص٣٨.

٢٧- الشّاهي: نقدٌ نحاسيّ إيراني، يشبه البارة التركيّة، أو الفلس العراقيّ، وقدْ اختلفت قيمتها باختلاف الزّمن والبلدان، وإنّ كلمة شاهي ليست منسوبه لشاه إيران، وإنّما هي نقود عثمانيّة -أيضاً-. يُنظر: هامش المترجم: ص٣٨، ٣٩.

٢٨- يُنظر: المصدر نفسه: ص٤٦، والملاحظ أنّ الرحّالة لم يستوعبوا تعاليم الدّين الإسلاميّ، التي لا تفرّق بين العمل والعبادة، أو حتّى أداء الممارسات الرّياضيّة.

٢٩- يُنظر: المصدر نفسه: ص٤٤، هذا موقعها الثاني، خلاف ما يقوله المترجم، من أنّ تيخيرا كان مطّلعاً بشكلٍ جيّدٍ على التحوّلات التي طرأت على موقع البصرة، ويُنقل عن الأب فيليب الكرمليّ أنّ الموقع الثالث كان أثناء حكم أفراسياب، وهذا مجرّد وهم؛ لأنّ بناء قصرين من قبل الأخير في منطقة المنّاوي القريبة من الضّفة الغربيّة من نهر شطّ العرب، لا يعني أنّ موقع المدينة انتقل إلى هناك (العشّار).

٣٠- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٤٦.

٣١- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٤٦، والصّحيح البصرة الأولى؛ إذْ قامت مدينة الزبير على أنقاض البصرة الأولى (بصرة عتبة بن غزوان)، ولم تكن هذه البصرة الثانية؛ لأن الثانية التي انتقل إليها النّاس كانت في محلّة الباشا والمشراق والسّيمر. يُنظر: القطرانيّ، حسين علي عبيد، الزبير في العهد العثمانيّ(١٥٧١-١٩١٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة الآداب، جامعة البصرة ١٩٨٨م.

٣٢- يُنظر: المصدر نفسه: ص٤٧.

٣٣- المصدر نفسه: ص٤٨.

٣٤- يُنظر: رحلة تيخيرا: ص٤٩.

٣٥- جويبدة: منطقة تقع في نهاية مدينة البصرة الأولى، اتخذها آل مغامس مقرّاً لهم، بعد الاحتلال العثمانيّ لمدينتهم. يُنظر: المصطفى، المصدر السّابق: ص١٤٦.

٣٦- يُنظر: المصدر نفسه: ص٥١.

٣٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص٥٣.

٣٨- ديللافاليه: رحّالة إيطاليّ، ولد سنة (١٥٧٦م) من عائلة أرستقراطيّة، سافر إلى إسطنبول سنة (١٦١٤م)، وبعدها زار مصر وحلب، وبعدها قرّر السّفر إلى بغداد، كتب أسفاره على شكل رسائل، بلغت أربعاً وخمسين رسالة، وصل البصرة في سنة (١٦٢٥م)، وبقي فيها أقلّ من شهر، كتب عنها معلومات مفيدة في رسالته العاشرة والحادية عشر. يُنظر: مقدّمة المترجِم، رحلة، ديللافاليه إلى العراق، مطلع القرن السّابع عشر، ترجمها عن الإيطاليّة، وعلّق عليها: الأب بطرس حدّاد، بغداد،٢٠٠٦م: ص ٨-١٦، ويُنظر: طارق نافع الحمدانيّ، البصرة في رحلة الإيطاليّ ديللافاليه في القرن السّابع عشر، مجلّة دراسات تاريخيّة، العدد١، السّنة٢٠١١م: ص٢٤-٢٦.

٣٩- يُنظر: رحلة ديللافاليه: ص١١٦.

٤٠- يُنظر: المصدر نفسه: ص١١٧.

٤١- يُنظر: المصدر نفسه، ويمكن تحديد موقع الجسر بالقرب من حيّ الباشا الحالي، مقابل دائرة بلديّة مجاري البصرة الحاليّة.

٤٢- الدانك: هو سفينة شراعيّة تسير في المياه العميقة، وليس في الأنهر، أمّا اسم القوارب في نهر العشّار، فهي الأبلام، ومنها البلم العشّاري.

٤٣- يُنظر: المصدر نفسه، وكلّ تلك الجسور تتكوّن من جذوع النخيل.

٤٤- يُنظر: المصدر نفسه.

٤٥- يُنظر: المصدر نفسه.

٤٦- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٢٨.

٤٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص١١٧.

٤٨- يُنظر: المصدر نفسه.

٤٩- يُنظر: المصدر نفسه: ص١١٨.

٥٠- علي باشا أفراسياب (١٦٠٣-١٦٤٧م) ابن أفراسياب مؤسِّس الإمارة في البصرة، وأمّه عربيّة من منطقة الدّير شمال البصرة، قام ببناء البصرة من النواحي الاقتصاديّة والاجتماعيّة والعسكريّة، وبنى علاقات جيّدة مع الأوربيّين، ومنهم البرتغاليّون، شجّع الأدب والشّعر، حتّى قيل إنّ عهده شابه عهد هارون العبّاسيّ، اتّبع سياسة بعيدة عن التعصّب المذهبيّ، فأشرك شخصيّات من معظم المذاهب الإسلاميّة في حكومته، مستشارين وقضاة. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: الشّهابيّ، ياسين بن حمزة بن أحمد، أُرجوزة في تاريخ البصرة، دراسة وتحقيق: فاخر جابر مطر، البصرة ١٩٩٠م، والشّيخ يحيى بن ملّا خليل البصريّ، الشّاهد الجلي في مناقب الشّيخ علي، مخطوطة في المكتبة العبّاسيّة في البصرة: ورقة ١٤٩.

٥١- الأصحّ كتاب الكنزربا، الذي يعني الكتاب العظيم. يُنظر: سباهي، عزيز، أصول الصّابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدّينيّة، دمشق، ١٩٩٦م: ص ١٥، و كنزربا، الكتاب المقدّس للصّابئة المندائيين، ترجمه إلى العربيّة من المندائيّة، يوسف متّي وصبيح مدلول السّهيريّ، وأعاد صياغته الأدبيّة، عبد الرزاق عبد الواحد، بغداد، ٢٠٠٠م.

٥٢- الدّورق: من مدن الحُويزة المهمّة.

٥٣- تستر: بالفارسيّة شوشتر، مدينة زراعيّة، تقع شمال مدينة الأحواز في محافظة خوزستان، وتُعدُّ من المدن المهمّة فيها. يُنظر: (www.google.ae/?gwsfd).

٥٤- رحلة ديللافاليه: ص ١١٩.

٥٥- الرُّهبان الكرمليّين: تسميتهم نسبة إلى جبل الكرمل في فلسطين، قدموا إلى العراق سنة (١٦٢٣م)، ومازالوا فيه لحدّ اليوم، في دير عامر في بغداد. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: الرويعيّ، حيدر جاسم، نشاطات الآباء الكرمليّين في العراق حتّى الحرب العالميّة الأولى، مجلّة

القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، المجلّد الثامن، العدد الأوّل والثاني، ٢٠٠٥م.

٥٦- يُنظر: رحلة ديللافاليه: ص ١٢٩-١٣٠.

٥٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١١٩-١٢٠.

٥٨- يُنظر: المصدر نفسه.

٥٩- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٢١.

٦٠- يُنظر: المصدر نفسه.

٦١- الشّيخ عبد السّلام العبّاسيّ: عميد الأسرة العبّاسيّة، ويُسمّى عبد السّلام الكبير بن الشّيخ ساري، جاء مع أبيه إلى البصرة الجديدة في المشراق والسِّيمر، اشتهر بالزّهد والتقوى. يُنظر: الشّيخ عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة، الجزء الأوّل، بغداد، ١٩٨٨م: ص٣٤٤.

٦٢- يُنظر: رحلة ديللافاليه: ص١٢٨.

٦٣-غوا: من أصغر ولايات الهند مساحةً، والرابعة عشر في السكّان، تقع في غرب الهند، في إقليم كونكان. يُنظر: ويكيبيديا (الموسوعة الحرّة).

٦٤- يُنظر: رحلة ديللافاليه: ص١٢٢.

٦٥- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٢٣.

٦٦- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٢٤.

٦٧- يُنظر: المصدر نفسه.

٦٨- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٢٦.

٦٩- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٢٧.

٧٠- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٢٤-١٢٥.

٧١- يُنظر: المصدر نفسه.

٧٢- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٢٨.

٧٣- يُنظر: المصدر نفسه.

٧٤- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٢٩.

٧٥- يُنظر: المصدر نفسه.

٧٦- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٣٠.

٧٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٣١.

٧٨- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٣٢.

٧٩- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٣٢-١٣٤.

٨٠- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٣٣.

٨١- المشراق: إحدى المناطق التي هاجر إليها النّاس من البصرة الأولى (التي أسّسها عتبة ابن غزوان سنة ١٤هـ)، وعدّت من المناطق المهمّة؛ لسكن عوائل البصرة المشهورة فيها. يُنظر: المصطفى، المصدر السّابق: ص١١٦.

٨٢- جويبدة: منطقة تقع على بعد بضع كيلو مترات غرب آثار البصرة الإسلاميّة، اتّخذها آل مغامس مقرّاً لهم، بعد هزيمتهم من قبل العثمانيّينَ سنة (١٥٤٦م). يُنظر: المصطفى، المصدر السّابق: ص١٤٥.

٨٣- يُنظر: رحلة ديللافاليه: ص١٣٦-١٣٧.

٨٤- يُنظر: المصدر نفسه: ص١٣٨-١٣٩.

٨٥- فيليب الكرمليّ: راهب فرنسيّ، ولد قرب مدينة أفينون سنة (١٦٠٣م)، اسمه الحقيقيّ أسبري بوليان، وعند دخوله دير الكرمليّين في ليون، بدّل اسمه إلى فيليب الكرمليّ، نُسِّب للعمل في بلاد فارس، قدم إلى العراق عن طريق حلب سنة (١٦٢٩م)، أثناء الحرب الفارسيّة-العثمانيّة، انتقل إلى البصرة، ومنها أبحر إلى الهند، له مؤلّفات تاريخيّة ودينيّة، منها رحلته المسمّاة (الرّحلة الشرقيّة). للمزيد من التفاصيل، يُنظر: مقدّمة المترجم، بطرس حدّاد، ضمن كتاب، رحلات إلى العراق، ترجمة وتعليق: بطرس حدّاد، جمع وتقديم: وسن حميد محيميد، بغداد، ٢٠١٣م، ص٤١-٤٢.

٨٦- يُنظر: المصدر نفسه: ص٤٣.

٨٧-المصدر نفسه: ص٥٧.

٨٨-يُنظر: المصدر نفسه: ص٤٨.

٨٩- يُنظر: المصدر نفسه.

٩٠- الكمأ: نباتٌ ينمو في البرّ، يُشبه البطاطا، ولكن بدون أغصان وأوراق، يستخدمه النّاس للغذاء.

٩١- يُنظر: المصدر نفسه: ص٥٠.

٩٢- وصف غير دقيق للنهر؛ لأنّ هناك نهران يطوِّقان المدينة، هما نهر الخورة، ونهر العشّار، والبعد بين نهر شطّ العرب ومركز المدينة هو (٥) كيلو مترات، أي ما يعادل (١٢) ميلاً أوربيّاً.

٩٣- يُنظر: المصدر نفسه: ص٥٢.

٩٤- يُنظر: المصدر نفسه.

٩٥- النّساطرة: النّسطوريّة، نسبة إلى (نسطور) بطريرك القسطنطينيّة، الذي عارض تعاليم مجمع أفسس سنة (٤٣١م) حول لاهوت العذراء مريم، واستنكر تلقيبها بـ(أمّ الله)، وفضّل دعوتها بـ(أمّ المسيح)، فحرّم المجمع برئاسة بطريرك الإسكندريّة ممثّل البابا (سيليستينوس الأوّل)، فتمّ نفيه إلى البتراء في بلاد العرب سنة (٤٣٦م)، وتوفّي سنة (٤٥١م). انتشرت تعاليم هذه الكنيسة وحركتها التبشيريّة في جزيرة العرب والهند وتركستان والتبت حتّى الصّين. للتفاصيل، يُنظر: (www.ebnmaryam.com/vb/t190244.html).

٩٦- اليعاقبة: نسبة إلى مؤسّسها يعقوب البرادعيّ، وأكّدت تعاليمها على الطبيعة الواحدة للسّيد المسيح عليه السلام، وقالوا: إنّ المسيح «أقنوم واحد، إلا أنّه من جوهرين، وربّما طبيعة واحدة من طبيعتين». المصدر نفسه.

٩٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص٥٢.

٩٨- يُنظر: الكرملي: ص٥٢، وكلامه حول نقل المدينة إلى ضفّة شطّ العرب الغربيّة غير دقيق؛ إذْ إنّه بنى قصرين للاستجمام على ضفّة شطّ العرب في منطقة المنّاوي، ولم يسوِّرهما، بل كان السُّور لمركز المدينة كلّها. يُنظر: المصطفى، المصدر السّابق: ص٧٥.

مراجعُ البحثِ

١- أمين، عبد الأمير محمّد أمين، القوى البحريّة في الخليج العربيّ في القرن الثامن عشر، بغداد، ١٩٩٦م.

٢- باش أعيان، عبد القادر، موسوعة تاريخ البصرة، الجزء الأوّل، بغداد، ١٩٨٨م.

٣- تيخيرا، رحلة بيدرو تيخيرا من البصرة إلى حلب عَبر الطريق البرّي (١٦٠٤-١٦٠٥م)، ترجمة وتعليق: أنيس عبد الخال محمود، بيروت، ٢٠١٣م.

٤- ديللافاليه، رحلة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السّابع عشر، ترجمها عن الإيطاليّة، وعلّق عليها: الأب بطرس حدّاد، بغداد، ٢٠٠٦م.

٥- رحلات إلى العراق، ترجمة: بطرس حدّاد، جمع وتقديم: وسن حميد محيميد، بغداد، ٢٠١٣م.

٦- الرّويعيّ، حميد جاسم، نشاطات الآباء الكرمليّينَ في العراق حتّى الحرب العالميّة الأولى، بحث منشور في مجلّة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، المجلّد الثامن، العدد الأوّل والثاني، ٢٠٠٥م.

٧- سباهي، عزيز، أصول الصّابئة (المندائيّين) ومعتقداتهم الدّينيّة، دمشق، ١٩٩٦م.

٨- الشّهابيّ، ياسين بن حمزة بن أحمد، أُرجوزة في تاريخ البصرة، دراسة وتحقيق: فاخر جبّار مطر، البصرة ١٩٩٠م.

٩- القطرانيّ، حسين علي عبيد، الزبير في العهد العثمانيّ (١٥٧١-١٩١٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٨م.

١٠- القهواتيّ، محمّد حسين، تأريخ العراق بين الاحتلالين العثمانيّين الأوّل والثاني (١٥٣٤-١٦٣٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٥م.

١١- المصطفى، حسين علي عبيد، البصرة في مطلع العهد العثمانيّ (١٥٤٦-١٦٦٨م)، دمشق، ٢٠١٢م.

١٢- هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلاميّة، ترجمة: كامل العسليّ، عمان، ١٩٧٠م.